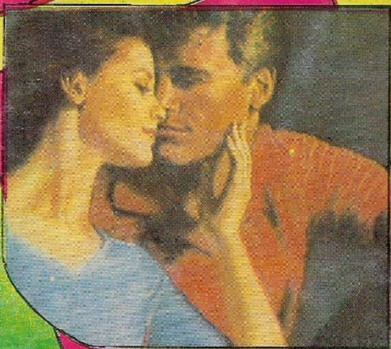
روايات ديانا

ديانا
DIANA

بَابُ السَّعَادة



دار اليوسف
بيروت - لبنان

باب السعادة

ريت كليمانس

أية صدفة هذه التي قدمت لدافني عملاً في كمبرلاند بعيداً عن شفقة أقاربها التي لا تستحقها! فموت خطيبها لم يحطم قلبها كما يعتقدون...

ولكن من كان يعتقد بأنها لم تكن تحب بيتر، وان نهايته المأساوية حررتها من سجن محتم؟ دافني ستكون سعيدة في مهمتها الجديدة عند آل كينوش، ولن يعكر صفو سعادتها شيء سوى موقف لوران زوج فليسيتي الحسناء منها...

رواياتُ ديانا الرُّومانسيَّة

بابُ السّعادة



الفصل الأول

رحلة النسيان

لقد مضى على دافني أكثر من ساعة وهي جالسة أمام النافذة تنظر بشرود إلى حديقة المنزل. سقط نظرها على يديها فرأت آثار المحبس الذي كانت تضعه طوال العامين الماضيين والذي نزعته من اصبعها في اليوم التالي للدفن وأعادته إلى علبته البيضاء في جارور خزانتها.

تدرك دافني أن عليها أن تتخطى وضعها وتجد ما شغلها. كثيراً ما رأت بعض مرضاها يعانون كما تعاني

في حالتها هذه، لكنها لم تكن تتخيل أبداً أن هذا سيحصل معها يوماً. عمل جديد وحده هو القادر على تخليصها من حالة الاحباط النفسي الذي تعيشه. انها لا ترغب بالعودة الى مستشفى لندن الكبير حيث كانت تعمل عند عودة بيتر من الولايات المتحدة وانشغالها بالاستعداد للزواج. كان زملاؤها في المستشفى قد أقاموا لها حفلة وداع منذ ثلاثة أسابيع ولهذا لا تملك الشجاعة على مواجهة نظرة الاشفاق في عيونهم وخاصة في عيني صديقتها ساندي التي تخرجت معها من مدرسة التمريض.

لا، لن تعود إلى المستشفى، كما وان الحياة هنا في كمبريدج ورؤية كل يوم وجه والدة بيتر وحزنها والشفقة في عيون الجيران والأقارب أمر لا يمكنها تحمله. يجب أن ترحل عن هذه المنطقة المليئة بالذكريات! ولكن إلى أين؟

سمعت الباب يفتح، لا بد انها والدتها قد عادت من السوق. فكرت دافني وهي تنهض من مكانها كي لا تلاحظ والدتها مدى حزنها.

ان موت بيتر لم يقلب حياتها هي فقط، بل أثر على كل من حولها. فالحادث ترك آثاره على والدتها التي تجد صعوبة في النظر الى حزن ابنتها.

«هل تناولت القهوة، يا ابنتي؟» سألتها والدتها.

«لا، أمي. ارتاحي أنت وأنا سأعدها».

تأملتها والدتها وهي تعد القهوة. ان حركاتها أشبه بحركات من يسيرون نائمين. قالت الوالدة لنفسها متنهدة. فهي وزوجها كانا سعيدين جداً عندما أعلن بيتر ودافني خطوبتهما منذ عامين وعندما حددا موعد زواجهما. لكن وفاة بيتر المأساوية حصلت قبل ثلاثة أيام فقط من موعد الزواج وأثرت كثيراً على والدتها وكأنها فقدت ابنها الوحيد روبن.

ذكرى تلك الليلة الفظيعة جعلتها ترتعش. عندما اتصلت بها دافني هاتفياً لتخبرها بالمصيبة، شعرت بأن المنزل يدور بها والأرض تميد تحت قدميها.

فبينما كانا عائدين من المنزل الذي اشترياه ويعملان على ترتيبه، انقلبت عجلة في سيارة بيتر فنزل لتبديلها، لكن سيارة يقودها سائق ثمل صدمته ولم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً لبيتر في المستشفى لأنه توفي على الفور. أما دافني فغرقت في حالة صدمة عميقة مما اضطر الطبيب لاعطائها مهدئاً قبل أن يسمح لها بالعودة إلى منزل والديها.

«أتريدين قطعة بسكويت مع القهوة، أمي؟».

«لا، أريد سيجارة فقط».

هي، التي لم تكن تدخن إلا نادراً، أصبح التبغ الوسيلة الوحيدة التي تنسيها حزنها على ابنتها.

رن جرس الهاتف فرفعت دافني السماعة وسمعت صوت السيدة فيلوز المراقبة في مستشفى سانت اغنيز.

«فكرت انك ترغبين بالعودة الى عملك» شرحت لها: «اوه، ليس هنا، أنا أعلم! أفهم ما تشعرين به. ولكن صديقة قديمة اتصلت بي هذا الصباح وقالت لي بأنها تبحث عن ممرضة خاصة لترافق حفيدتها. احداهما خضعت مؤخراً لعملية جراحية في ركبتها واضطرت لترك مدرستها الداخلية. أختها الصغرى ترفض البقاء في المدرسة وحدها. انها تعاني من مشاكل في السمع، بالحقيقة هي صماء تماماً وأعتقد انه لا يمكنها التخلي عن شقيقتها. على كل حال، كلير الصغيرة تصر على العودة مع شقيقتها طالما أن نهاية الفصل اقتربت. هكذا استسلم الأهل لمشيئة الفتاتين وينتظرون وصولهما غداً الى المنزل. الأكبر سناً بحاجة لممرضة جيدة، ففكرت على الفور بالاتصال بك لأنني أعرف انك تجيدين لغة الصم والبكم».

«جيد انك لا تزالين تذكرين».

«هذا مفيد جداً للصغيرة كلير، فهي بسبب صممها تعاني من حالات توتر. انها في الثانية عشرة من عمرها. المهم، لديك اليوم بكامله للتفكير، ابن صديقتي سيتصل بك هاتفياً في الساعة السادسة من بعد ظهر هذا اليوم. اسمه لوران كينوش كان طبيباً في

مستشفى سانت اغنيز. ستعطينه جوابك مباشرة. برأيي، يجب أن تقبلي هذه المهمة، دافني، لا أجد إلا مانعاً واحداً، هو أن آل كينوش يقيمون في وسط كمبرلاند أي على حدود اسكتلندا».

«اوه، لا. هذا لا يمنع، فأنا أحب الطبيعة كما وانني لا أعرف منطقة البحيرات جيداً».

«حسناً، لا مجال للتردد اذاً، هذه فرصة ذهبية بالنسبة لك، مع آن التي ستحتاج بالتأكيد للتمارين ستتمكنين من التعرف على المنطقة كلها...».

شكرت دافني رئيستها وانضمت الى والدتها.

«انها منطقة بعيدة!» قالت والدتها عندما علمت بموضوع المكالمة: «ولكن في ظروفك الحالية، ليست هذه فكرة سيئة».

ابتسمت دافني.

«كنت ووالدك نتحدث بالأمس ونحن نفضل أن لا تبقي في كمبردج ولا أن تعودي إلى سانت اغنيز، على الأقل حالياً».

«أنا أيضاً لم أكن أنوي ذلك. سأكلم والدي بالأمر، لكني سأنتظر أولاً اتصال السيد كينوش قبل أن أتخذ قراري النهائي».

خرجت دافني بنزهة في الحقول بعيداً عن المدينة حيث يدير والدها مركزاً طبياً، لقد مضى عشرون عاماً

على استقرار أهل بيتر في المنزل المجاور لمنزل أهلها. فوالده إستاذ محاسبة ترك العاصمة واستقر هنا مما جعل ابنه الوحيد بيتر يتابع دروسه في جامعة محلية قبل أن يسافر الى أميركا لينهي تخرجه.

بالنسبة لدافني كان بيتر الرفيق الوحيد الذي تعرفه وقد لاحظ فقط في سنته الجامعية الأخيرة أن هذه الفتاة أصبحت شابة رائعة بعينيها الرماديتين وبشرتها المخملية فأخذ يخترع الأعذار لزيارتها كل يوم. لقد قضيا أوقاتاً رائعة بالفعل.

«الاتصال لك، دافني» نادتها أمها بعد قليل على عودتها من نزهتها.

ترددت الفتاة قليلاً قبل أن تتناول السماعة.

«آنسة دافني كارون؟».

«نعم».

«أنا ادعي لوران كينوش، أخبرتني السيدة فيلوز أنها تحدثت معك».

«نعم، لقد اتصلت بي» أجابته بتردد: «ولكنها لم تعطني سوى فكرة صغيرة عما ينتظر مني. لست متأكدة من...».

«أقل ما يمكن قوله انك لا تبدين متحمسة».

قال بهدوء جاف فأحست بالغضب يتملكها.

«لست أدري كيف أمكنك أن تفسر حماسي من

مجرد بضع كلمات قلتها. للحقيقة إن عرضك يناسبني تماماً».

تلى ذلك صمت قصير ندمت الفتاة خلاله على تسرعها بانفعالها لقد فكرت طوال النهار ووجدت أن هذا العمل سيكون الحل الوحيد الذي يخلصها من كآبتها.

«سيكون عليك الاهتمام بفتاتين صغيرتين» قال لوران كينوش: «فقط آن الكبيرة هي المريضة، ولكن شقيقتها الصغرى ترفض البقاء وحدها في المدرسة الداخلية. كلير الصغيرة صماء منذ الولادة، أتفهمين؟ وبما أن الفصل أوشك على نهايته، فكرنا أن انقطاعهما عن المدرسة لن يضرهما. الطقس جميل نسبياً ونحن نحب أن يتمكنا من الخروج قدر الإمكان. بالمناسبة، أتمنى أن لا تكوني ممن يكرهون الريف!».

«لا، لا، أنا أحب الطبيعة! كما وان المشي هو رياضتي المفضلة».

«حالياً، آن ليست قادرة على السير، ولكن بعض التمارين لن تضرها بل ستساعدها. حسناً، اذا كان يناسبك سنبدأ غداً، ما رأيك؟ لقد راجعت مواعيد القطار، هناك رحلة الساعة الواحدة والنصف، سأنتظرك في بتريت. هذا يناسبني لأنني سأكون هناك في عملي، موافقة؟».

«حسناً، سيد كينوش».

«كيف سأتعرف عليك؟».

«سأحمل حقيبة خضراء، أو حقيبتين».

«حسناً، أشقراء أنت أم أن شعرك أسود؟».

«شعري بني».

«يصل القطار الى بتريت الساعة السادسة. بالمناسبة، ستكونين بيننا كفرد من العائلة، فليس هناك حاجة لزي التمريض. إلى الغد، آنسة كارول».

رحبت والدة دافني بقرار ابنتها فأخبرتها الفتاة أن السيد لوران سيلاقيها في بتريت.

«سأتصل بك فور وصولي لأعطيك العنوان لأنني نسيت أن أسأله عنه. ولكن في حال حصل أي شيء بامكانك الاتصال بي عن طريق الآنسة فيلوز فهي تعرفهم».

في المساء، أخبرت والدها بقرارها فشجعها.

«انها فكرة جيدة، آن لك العودة لطبيعتك. والدتك وأنا لم نكن نريد التحدث معك بالأمر، لكن شقيقتك روبن ستبدأ عطلته آخر الاسبوع. كنا ننوي اصطحابه لزيارة العمة أديث».

«يا إلهي! لم افكر بالأمر». صرخت دافني: «حتى انني لم ارسل له اية كلمة».

«كما وان السيدة ماك نيل لن تفرح ابدأ عندما تعلم

برحيلك. من الافضل ان تذهبي لاخبارها».

«نعم، سأذهب لرؤيتها الآن لأنني غداً لن يكون لدي متسع من الوقت».

كانت دافني تعرف ما ينتظرها، فما ان علمت السيدة ماك نيل بالخبر حتى اجهشت بالبكاء المرير، فحبست دافني دموعها رغماً عنها.

«أنا لن ارحل لمدة طويلة. سأعود عندما تتحسن حالة الفتاة».

«عندما أعلم أنك قريبة مني». قالت السيدة وهي تمسح دموعها: «أواسي نفسي قائلة أنك تشاركيني آلامي».

«أعلم حقيقة مشاعرك، ولكن مهما فعلنا، لا شيء يعيد بيتر الينا. كل ما يمكننا فعله هو أن نحبس الآمنا».

«هذا افضل ما سمعته في هذا المنزل». قال السيد ماك نيل وهو يثني صحيفته.

«لم يكن بيتر ليحب كل هذا الحزن. إن موته كان قاسياً ولكن يجب علينا القبول بالأمر. أتمنى أن تسير الأمور جيداً بالنسبة لك يا ابنتي».

تأخرت حتى نامت ذلك المساء ورغم ذلك عاد إليها الكابوس نفسه: عودتهما إلى المنزل الذي كانا قد بدءا بإعداده للزواج، وانهمار المطر الغزير، والعجلة التي

انفجرت فجأة، وبيتر الذي نزل ليغير العجلة. فجأة اضاءت الطريق مصابيح سيارة تأتي بالإتجاه المقابل. تراءى لها مجدداً جسد بيتر في منتصف الطريق تحت المطر... لا يزال صفير سيارة الإسعاف يرن في أذنيها. عندما استيقظت كان العرق يتصبب من جبينها... إن تجربة الأيام الأخيرة كانت قاسية جداً فتركتها شاحبة وقد خف وزنها وغرقت في الكآبة واليأس.

الفصل الثاني
المهمة الجديدة

استقلت دافني قطار الساعة العاشرة ثم استقلت سيارة أجرة إلى محطة ليفربول ستريت حيث ستستقل القطار إلى بنريت في رحلة طويلة لم تقم بمثلها في حياتها.

كانت دافني قد اشترت مجلة تتسلى بقراءتها في القطار. فجأة رفعت نظرها فوجدت شاباً يتأملها فشعرت بالإنزعاج. لحسن الحظ أعلنوا في القطار أن المطعم مفتوح فنهضت، لكنها بعد لحظات وجدت أن

الشاب نفسه تبعها وجلس بجانبها في المطعم. على كل حال يبدو لطيفاً ويبتسم لها.

«اشعر بأنني أصل إلى عالم مختلف تماماً، ما رأيك أنت؟».

«لا بأس حتى الآن».

«بالنسبة لي سأعمل في أمور فندقية، فأنا وأخي اشترينا فندقاً صغيراً قرب غراسمر. كنت في الماضي في البحرية... أخي سيهتم بأمور المطبخ وأنا بأمور الإدارة. أتمنى أن تزورينا ذات يوم. هل انت من المنطقة؟».

«لا، سأبقى فيها بضعة اسابيع فقط».

«قريباً من غراسمر؟».

«قرب كويسك».

«ليس بعيداً جداً». قال مبتسماً: «مري لرؤيتي ذات يوم».

«سأفعل إذا سمحت لي الظروف بذلك، أعدك».

«هل ستنزلين في كندال؟».

«لا، سأنزل في بنريت».

«مؤسف! كنت سأوصلك، فشقيقي بانتظاري في المحطة».

«شكراً لك، فلدي أيضاً من ينتظرني».

«أقدم لك نفسي». قال ماداً يده نحوها: «أنا ادعى

ايفور توماس».

«دافني كارول».

عندما صفر القطار في محطة كندال استأذن ايفور من دافني بابتسامة حزينة.

«لقد تمتعت معك بلحظات جميلة، دافني، شكراً لك مع أنك جعلتني أفهم انني لست سوى غريباً ستنسينه بسرعة مع الأسف. لكنني اعترف لك بدون خجل انك من النوع الذي أحب!».

تأثرت دافني بصراحته ولطفه وإعجابه بها فتنهدت وهي تنظر إليه ينزل من القطار. لطالما أبدى الشباب الاعجاب بها لكنها لم تكن تحب إلا بيتر الذي كان يغار عليها كثيراً، منذ البداية جعلها تفهم أنه يحب أن يكون الوحيد في حياتها، وجعلها تعده قبل سفره بأنها لن تقبل دعوة أي رجل غيره ولقد وفت دافني بالوعد ولم يكن أي رجل غيره يهمها أو يتوصل لإغرائها، مع أنها كانت تسمع من زميلاتها في المستشفى أن بيتر يتودد إلى فتاة تعمل في المختبر، لكنها لم تعلق على الأمر أية أهمية. إلا أن شكوكها ازدادت بعد سفره إلى الولايات المتحدة الأميركية، خاصة وأن رسائله قلت وباتت موجزة وسطحية لدرجة أنه عندما قرر العودة إلى الوطن لم تكن متأكدة من أنها لا تزال تريد الزواج منه وقررت أن تترك قرارها النهائي إلى حين عودته لتتأكد

أكثر من حقيقة مشاعرها ومشاعره.

لم يكن من السهل عليها التحرر والذهاب لاستقباله في المطار يوم وصوله، ومع ذلك بذلت جهداً كبيراً وأمنت من ينوب عنها. ما إن حطت طائرته حتى كانت بانتظاره. ولكن بعد كل هذا التعب صدمها عندما قال لها بأنه سيتوجه على الفور إلى كمبريدج إلى منزل والديه.

«ماذا؟» صرخت بدهشة: «على الفور؟».

«نعم، فوالدتي تنتظرني أنت تعرفين ذلك جيداً».

هزت رأسها بصمت. كان بإمكانه أن يكرس لها بضع ساعات بعد عام من الفراق! فهما مخطوبان!.

فكرت دافني كثيراً وقبل ذهابها إلى كمبريدج في عطلة نهاية الأسبوع، كانت قد قررت نهائياً فسخ خطوبتهما. لكن مفاجأتها كانت كبيرة عندما رأت بيتر يومها ينتظرها في المحطة. وما إن صعدت في سيارته حتى زف إليها الخبر. لقد اشترى منزلاً في «مادنغلي» ارتبكت الفتاة كثيراً لأنه لم يستشرها حول منزلهما الذي سيعيشان فيه معاً، فهي ترفض أن يتخذ قرارات تخصهما دون استشارتها. ولم تسنح لها الفرصة للإعتراض خاصة وأنها لا تريد إفساد فرحة أهله الذين دعوها للعشاء عندهما.

يجب أن تعترف بأن المنزل الذي اشتراه بيتر كان

رائعاً. فبعد فرشه سيبدو مريحاً تماماً، لكنها رغم ذلك تشعر بالإذلال لأن زوج المستقبل أهمل رأيها.

كذلك كان الأمر عندما حدد موعد الزفاف ومكان الحفل ولائحة المدعوين وكأنه يريد أن يلغي شخصيتها تماماً لدرجة أنه أصر على أن تترك العمل بعد زواجهما مباشرة.

بعد ذلك وقع الحادث المريع الذي لا يزال يرهق لياليها. ولكن الأفظع هو أنها شعرت بشيء من الراحة بعد الصدمة الأولى. شعرت أيضاً بعد ذلك بالندم والعار.

في القطار بعيداً عن المنزل بدأت تنسى همومها، فبعد قليل من الوقت ستكون في مكان بعيد وبين اناس غرباء ولن تضطر للعب دور الأرملة المحزونة. بعد دقائق نزلت إلى محطة بنريث المزدحمة تتفحص وجوه الناس علها تتعرف على السيد لوران.

«حقائب خضراء!» قال غريب وهو يقترب منها: «لا بد أنك الآنسة كارون. أنا لوران كينوش».

تأملت دافني الرجل الذي مد يده نحوها فرأت في عينيه ابتسامة ساخرة.

«هيا، استرخي» قال الرجل: «ليس من عادتي أن استقبل مرضاي في مثل هذا الزي، لقد بدلت ملابسي قبل المجيء لاستقبالك لأنني ذاهب للصيد بعد الظهر».

ثم امسك بالحقيبتين واتجه نحو موقف السيارات ولم يعد إلى الكلام إلا عندما ابتعدت سيارته عن المحطة.

«سيكون من الأسهل أن نستعمل اسماءنا الصغيرة». قال الرجل: «إلا إذا كنت تصرين على البروتوكول».

«لا، أبداً، بامكانك مناداتي دافني».

«وأنا، نادني لوران. سأقدم لك بقية العائلة عندما تصل».

ما أن ابتعدا عن الأحياء السكنية حتى زادت السيارة من سرعتها لتلتهم التلال والأودية باتجاه الشرق. من بين الأشجار على جانبي الطريق، لمحت دافني المسطحات المائية البعيدة. فجأة، سلك لوران اتجاه اليسار وزاد من سرعته غريزياً امسكت الفتاة بقبضة الباب وصرخت.

«أنا آسف». اعتذر لوران مبتسماً: «كان يجب أن احذرك. فهذا الإنطباع الأول دائماً، ولكن سترين بنفسك عندما تقودين السيارة. إذا لم تسرعي هنا يتعطل محرك السيارة».

لم تشك دافني بكلامه فالمنحنى هذا لا يمكن اجتيازه بطريقة اخرى. ففهمت ضرورة المرآة الكبيرة التي كانت قرأتها عند مدخل المنعطف. إن السيارات الخارجة من منطقة المنزل تتحقق هكذا من أن الطريق

خال قبل الالتفاف. تأملت دافني ـ المنزل الذي يقترب وتلمع نوافذه تحت اشعة الشمس. بينما اتجه لوران إلى المرآب ليركن سيارته، تمكنت دافني من رؤية قامة امرأة جالسة في الداخل.

حمل لوران حقيبتها وقادها نحو مدخل المنزل.

«نحن سنستعمل هذا الباب للدخول وللخروج في الوقت العادي. ويبقى مفتوحاً حتى وقت متأخر ليلاً. تعالي لأقدم لك والدتي، يبدو لي أنني رأيتها في الغرفة الزجاجية».

رفعت امرأة في الستين رأسها عندما رأتهما يدخلان.

«أمي، اقدم لك دافني كارول ممرضتنا».

وقفت السيدة كينوش ومدت يدها المرتجفة نحو دافني.

«هل جاءت آن؟» سألها لوران.

«منذ ساعة تقريباً، ساعدتني السيدة فلاشر بوضعها في السرير. كلير تجلس معها».

«هل تحملتا السفر بدون مشقة».

«اوه، نعم. لكني اعتقد انهما متعبتان قليلاً».

«سأصعد لرؤيتهما» ثم التفت نحو والدته مرة أخرى: «وفلبسيتي، هل عادت؟».

«لا»، قالت والدته بعد تردد: «لم تعد».

«تعالي» قال موجهاً كلامه لدافني: «سأقدمك

للفتاتين واعرفك على غرفتك».

اعتذرت الفتاة من السيدة كينوش وتبعت لوران الذي وقف في منتصف الممر في الطابق العلوي ووضع الحقيبتين أمام أحد الأبواب.

«هذه غرفتك».

ثم تابع سيره ليفتح باباً في آخر الممر.

تبعته الفتاة فوجدت هذه الغرفة واسعة تطل على الحديقة. نظرت احدى الفتاتين إليهما بوجهها الشاحب ثم ابتسمت للوران.

«كيف حالك يا صغيرتي» قال وهو يقبل خديها: «هل انزعجت في سيارة الإسعاف».

«لا، فالرجلان كانا لطيفين جداً. أنا سعيدة بالعودة إلى منزلنا مع كلير». قالت مشيرة بيدها نحو الفتاة الصامتة على السرير الثاني. كلير الصغيرة تشبه شقيقتها الكبرى ولكن ملامحها تفتقد للمرح. ظلت تتأملهما بصمت وهي تمسك بيدها جهاز السمع. يبدو أنها خافت من لوران فرفعت الجهاز على الفور ووضعته على أذنها.

«لا يجب نزعه». قال لوران: «كم مرة يجب أن أكرر ذلك؟». أخفضت كلير رأسها دون أن تجيب.

«لا تنهرها، لو سمحت». توسلت إليه آن: «أنت تعلم أنها لا تحب وضعه. كما وأننا لسنا بحاجة إليه

كي نتفاهم معاً عندما نكون وحدنا».

ثم ربتت على يد شقيقتها بينما لوران اقترب منها.

«أقدم لك مرافقتك الجديدة، انها تدعى دافني. دافني اقدم لك هذه القطة الصغيرة آن».

«نهارك سعيد آن». قالت دافني ثم اشارت بيدها نحو كلير.

«بإمكاننا التكلم معاً بهذه الطريقة، إذا اردت».

على الفور، اشرق وجه كلير فنهضت عن السرير ومدت يدها نحو دافني.

«اجهل ما قلتيه لها». قال لوران متأثراً ولكني أهنئك. حسنا سأتركك لتتعارفي. يجب أن اذهب، الأسماك تنتظرني. سأمر لرؤيتكن في المساء». قال مبتسماً نحو دافني وخرج.

ما إن خرج حتى نزعت كلير سماعاتها.

اقتربت دافني من سرير آن ورتبت الفراش وغطاءه والوسادة.

«دافني - ألا يزعجك أن تنزع كلير سماعاتها؟» سألتها آن: «كما ترين، انها تجيد قراءة الشفاه وأنت نفسك بإمكانك التعبير بالأصابع. لن يكون لدينا أية صعوبة في التفاهم».

«حسناً». ترددت دافني: «لا ارى أي مانع، من جهتي. ولكن إذا ألح، هو..».

«لوران لن يعرف شيئاً. لو سمحت، دافني، لنحتفظ بالأمر سراً بيننا».

«لا أريد أية مشاكل بسببي». تدخلت كلير التي كانت تراقب شفتيهما ووجهيهما».

«ولكن لا!» اجابتها آن: «لا أحد سيعلم إذا انتبهنا. لو سمحت، دافني».

«حسناً، يجب أن ترتاحا الآن. أية ساعة العشاء؟ اعتقد انكما تناولتما شيئاً عند وصولكما».

«نعم. لست جائعة الآن». قالت آن: «العشاء يقدم في الساعة الثامنة عموماً. بالتأكيد سيرسلون لي عشائي إلى هنا».

«أنا لن انزل، إذا كانت آن ستأكل هنا». أكدت كلير.

«ما رأيكما بعشاء لثلاثة؟» اقترحت دافني. «لا اعتقد أن جدتكما ستمانع إذا اعتذرت وجئنا واهتممت بعدها بتنظيف الأطباق». اشرق وجها الفتاتين ووافقتا.

«سألقي نظرة على غرفتي. نحن جيران. إلى اللقاء بعد قليل»، قالت دافني وتركت غرفة الفتاتين.

كانت حقيبتاها لا تزالان في الممر حيث تركهما لوران. كانت الغرفة مرتبة لاستقبالها. فالسرير مرتب وعلى الطاولة باقة أزهار في مزهرية بيضاء. الغرفة واسعة تطل على الحديقة. ازاحت دافني الستائر ثم

انتعلت حذاءً مريحاً ونزلت إلى المطبخ حيث وجدت السيدة كينوش تعد العشاء وتساعدها امرأة متوسطة السن.

«جئت لتحملي صينية آن؟» سألتها السيدة كينوش.

«كنا نعدها لها أنا والسيدة فلاشر».

«أنا سعيدة بالتعرف عليك». قالت السيدة فلاشر.

«سأتناول العشاء مع الفتاتين في غرفتهما لأن كلير تريد البقاء مع أختها. سأهتم بتنظيف الصحون بعد نومهما».

«لا تقلقي لهذا الأمر» أجابتها الخادمة.

«لقد قدم لي أولادي آلة أوتوماتيكية لغسل الأواني». قالت جدة آن: «صحيح أن كنتي فلبيتي لا تضع يدها في المجلى. لكن السيدة فلاشر تشغل الآلة كل مساء قبل رحيلها».

«يجب أن لا نتردد في استغلال الأشياء الجيدة». علقت الخادمة.

«دعيني اساعدك».

«لا، شكراً لك، انضمي أنت إلى الفتاتين. وجودك معهما امر ثمين».

عادت دافني إلى غرفة الفتاتين فوجدتهما بانتظارها.

«كلمينا قليلاً عنك، دافني». طلبت آن منها: «أنا وكلير نحب أن نتعرف عليك أكثر - إلا إذا كان هذا

يزعجك».

«بالتأكيد لا. ليس لدي اسرار».

لم لا. فهي لن تخبرهما بالتأكيد عن بيتر ولا عن الحادث لأنها لن تتحمل رؤية الشفقة التي لا تستحقها في عيني الفتاتين البريئتين. لا يزال والديها هي يجهلان كل الحقيقة المؤلمة. في الواقع جاء موت بيتر ليحل مشكلة لم تكن تعرف حلها. وبدل أن تتأسف كثيراً شعرت بشيء من الراحة لموته.

«أنت لست متزوجة؟» سألتها آن بدهشة: «ولا حتى مخطوبة؟ لا أتخيل ذلك. فتاة جميلة مثلك... لا».

«لكنني فتاة عادية».

«أنت جميلة جداً وطيبة».

«أنت بالكاد تعرفيني. ربما كنتُ شيطاناً في زي ممرضة».

«اوه لا». قالت آن وهي تهز رأسها: «أنا اعرف الشياطين من النظرة الأولى. كمديرة المدرسة...».

«نعم إنها شيطان كبير». تدخلت كلير: «فهي كلما فتحت فمها يكون ذلك لإصدار امر بالمنع. بالكاد نملك حق التنفس. ثم، في البداية لم تكن تصدق أن ركبة آن تؤلمها. اعتقد أن هذه حجة كاذبة كي لا تشترك أختي باللعب. جاء لوران ذات يوم أحد لزيارتنا ولاحظ أن آن تسير بصعوبة. فطلب طبيباً على الفور وأنب

المديرة لإهمالها».

دخلت السيدة فلاشر بهذا الوقت تحمل صينية كبيرة.

«هيا يا بناتي، أتمنى لكنّ شهية جيدة».

قربت كلير طاولة خاصة بالمرضى إلى سرير أختها.

«يبدو أنه طعام شهي. أحب كثيراً طعام جدتي» قالت آن: «هذا على الأقل طعام مختلف عما يعدونه في المدرسة الداخلية».

تناولت العشاء ثم تناولت الفتاتين كوبي الشوكولا الساخن بينما تناولت دافني فنجان القهوة. بينما كانت دافني تحتسي قهوتها لاحظت أن الفتاة الصغيرة ارتبكت وتركت كوبها لتسرع بوضع السماعات على أذنيها.

يبدو أن سبب ارتباكها هو ما رأته أمام الباب. التفتت دافني فرأت امرأة طويلة ترتدي ثوباً ازرق من الحرير وشعرها الأشقر الطويل مسترسل على كتفيها كالشلال. كانت المرأة تراقبها بهدوء وصمت عندما لاحظت أنهن رأينها، اقتربت من سرير آن وقربت خدها المطلي بالبودرة من جبين الفتاة.

«أهلاً بك، يا عزيزتي؟ كيف حالك؟».

«بخير يا امي» أجابتها الفتاة لكن دافني لم تفهم سبب تبدل ملامحها: «أقدم لك دافني. جاءت لترافقنا».

إذاً هذه هي زوجة لوران كينوش! فكرت دافني وهي تنهض لتمد يدها نحوها. الوجه الذي التفت ليتفحصها كان زاهياً بألوان المكياج المتناسبة مع أناقتها التي تذكر المرء بأرقى أحياء لندن وليس بريف متعزل في كمبرلاند.

«أسعد الله نهارك، سيدة كينوش، يسعدني التعرف عليك».

«ارجوك» صرخت المرأة الشابة: «نادني فليسيتي. يكفي وجود سيدة كينوش واحدة في هذا المنزل!».

كان من الصعب فهم ملامح وجهها ولكن صوتها كان حاداً.

«حسناً، الاحظ أنكن متفاهمات جيداً». اضافت المرأة: «سأذهب إذاً لأبدل ملابسي. لقد تأخرت كفاية».

ثم خرجت واختفت في الغرفة المقابلة. أحست دافني بأن السحر انقطع فأخذت ترتب الصحون على الصينية.

«سأحمل الصينية إلى المطبخ وأعود على الفور. لن أتأخر».

لكن السيدة فلاشر الخادمة لم تكن قد رحلت بعد فأخذت تثرثر ولم تستطع دافني التخلص منها قبل نصف ساعة. عندما صعدت وجدت الفتاتين جالستين أمام

شاشة التلفزيون. اتخذت لها كرسياً بين السريرين وجلست تشاهد البرنامج.

كان الظلام قد حل في الخارج عندما نهضت دافني.

«لقد كان نهارك طويلاً، آن، انها الثامنة ويجب أن تنامي».

ساعدت الفتاتين على النوم ثم ردت عليهما الغطاء. كانت تستعد لدخول الحمام عندما فتح باب الغرفة. انه لوران كينوش.

«لقد أحسنت بتنويمهما». قال لوران: «خذي هذه» وناولها حبة دواء.

«أعطها لآن عندما توشك على النوم. كيف حال ركبتك يا صغيرتي؟».

«أشعر بالألم أحياناً». أجابت آن: «لكن الألم لا يطول».

«سيأتي د. ليجين لرؤيتك صباح غد. نامي جيداً». اضاف وهو ينحني ليقبلها.

نهض، عندما وصل إلى الباب التفت محدداً وأشار لدافني بالإنضمام إليه.

«حبة الدواء التي اعطيتك إياها هي مهدئة، ستحتاج آن إليها. هل أنت بحاجة لشيء؟».

«أريد فقط عنوانك بالتحديد كي اعطيه لوالدتي. نسيت أن اطلبه منك مساء أمس على الهاتف».

«تقصدين القول». قال بدهشة مبتسماً: «انك انطلقت إلى المجهول، هكذا، دون أن تهتمي بوجهتك؟».

«تقريباً، نعم». أجابته بنصف ابتسامة.

«حسناً» وأعطاها العنوان: «من الأفضل أن تتصلي بوالديك بدون أي تأخير، وإلا سيعتقدان بأنني خطفتك! الهاتف في البهو».

«شكراً». أجابته وقد احمر وجهها: «سأطمئنهما قبل أن يرسلا الشرطة في أعقابك».

بعد نصف ساعة كانت قد تحدثت مع والدتها وعادت إلى غرفتها حيث رتبت أغراضها في الخزانة وقبل الخلود إلى النوم ركزت ساعة المنبه كي ترن في الساعة الثانية.

آن في مرحلة نقاهة، ولكن دافني تعلم أن تأثير المهدئات لا يمتد إلى أكثر من أربع ساعات، لذلك تريد أن تطمئن ليلاً على الفتاة. فتحت كتاباً يساعدها على النوم لكنها لاحظت بعد وقت ما أن الصفحة التي كانت تنظر إليها لا تزال نفسها، انها عاجزة عن التركيز، فأغلقت الكتاب واطفأت النور. لكن عينيها ظلتا مفتوحتين في الظلام وهي تفكر بحياتها الجديدة بين آل كينوش. جو عائلي جيد على ما يبدو. لكن الشقيقتين تبدوان أكثر استقلالية بالنسبة لعمرهما. بعد لوران، كانت السيدة الكبيرة كينوش هي فقط من جاء

وقبل الفتاتين، لكن والدتهما لم تجد ضرورة لتقبيلهما.

بينما كانت عيناها مثبتتان على الضوء المتسرب من خلال النافذة، ادركت دافني فجأة أنها لأول مرة منذ اربعة اسابيع، تفكر بشيء آخر غير همومها الخاصة. رفعت الغطاء حتى عنقها وابتسمت. انها إشارة جيدة! فكرت قبل أن تنام.

تأملتها آن بصمت عندما، عند منتصف الليل دخلت دافني غرفتها وانحنت فوق سريرها.

«ألا تتمكنين من النوم؟».

«لا».

«ما رأيك بفنجان شوكولا؟».

«اوه نعم، بكل سرور. أتعتقدين انك ستجدين ما يلزم في المطبخ؟».

كانت آن تتكلم بهمس. هذا ليس خوفاً من ان تستيقظ شقيقتها. لكنها قوة العادة. قالت دافني لنفسها ففي المدرسة الداخلية لا يجب رفع الصوت عند حلول الليل.

بعد دقائق، كانت تحمل الصينية عندما فُتح باب في أول الممر وظهر لوران كينوش. شعره منفوش ويرتدي روب دي شامبر فوق بيجامته.

«بدا لي انني سمعت ضجة في المطبخ... ماذا تفعلين هنا؟».

«آن تجد صعوبة بالنوم... أعددت لها شراباً ساخناً».

«فكرة جيدة! سألقي نظرة عليها».

رافقها بصمت إلى غرفة الفتاتين.

«ألا تشعرين بأنك على ما يرام؟» سألها لوران وهو يجلس على حافة السرير.

«لا أشعر بالألم كما في السابق» أجابته آن: «اعتقد أن التغيير يمنعني من النوم».

«ربما... اشربي الشوكولا، سأحضر لك حبة أخرى من الدواء المهدىء».

خرج وعاد بعد لحظات. بلعت آن الحبة وما هي إلا لحظات حتى استرخت ملامحها واغمضت عينيها.

«حبتان لا تضرانها». قال وهو يبتعد ليسمح لدافني بالخروج: «شكراً لك لأنك استيقظت في منتصف الليل لرؤيتها».

«تصبح على خير». اكتفت بهذه الإجابة قبل أن تغلق خلفها باب غرفتها.

إذاً لوران كينوش لا ينام مع زوجته في نفس الغرفة! يبدو ان زواجهما شكلي من النوع الذي تكرهه دافني. إلا إذا كان الزوجان يستمران بالعيش مع بعضهما إنقاذاً للمظاهر فقط.

استيقظت آن مرتاحة في الصباح لكن لوران نصحها

بملازمة الفراش بانتظار وصول الطبيب.

«اتساءل إذا كان الأب أو الابن الذي يأتي». قالت الفتاة بينما دافني تسرح لها شعرها: «أوه، الأب طبيب والابن أيضاً». شرحت لها:

«بالطبع أنا وكلير نفضل أن يأتي الدكتور الابن!».

«آه، وماذا فعل ليستحق كل هذا الإعجاب؟».

«اوه، انه لطيف!» قالت الفتاة وقد احمر وجهها.

«سترين بنفسك».

«ومن يدري؟ قد يأتي والده العجوز هذه المرة!».

كانت فرحة الفتاتين كبيرة عندما جاء الطبيب الشاب. ادخلته الجدة بعد نصف ساعة. انه شاب طويل شعره مجعد، ابتسامته مشرقة يبدو ساحراً ورومنسياً. انضمت إليه دافني بجانب آن وحاولت أن تقوم بدورها كمساعدة له.

الطبيب الشاب مد يده نحوها ثم ركز كل انتباهه على المريضة الصغيرة التي اجابت بكل هدوء على اسئلته. بدا عليه الرضا فرفع رأسه.

«أيمكنني التحدث على انفراد مع الممرضة؟» سأل السيدة كينوش.

«نعم، بالتأكيد. اتريدين مرافقته للحظات، دافني؟ لن اطلب منك البقاء لشرب فنجان قهوة، روي، فأنا اعلم انك مستعجل».

«اوه، نعم، لدي عدة معاينات، شكراً على كل حال، إلى اللقاء».

تبعته دافني بصمت إلى الأسفل.

«ركبتها تقلقني قليلاً» اعترف الطبيب: «لقد تأخروا في اصطحاب الفتاة إلى المُجَبِّر لقد اتصلت بالمستشفى قبل مجيء، قالوا لي بأنه قد يجب إجراء عملية أخرى لها. أتمنى أن يكونوا على خطأ. ولكن اذا استمر الألم يجب الخضوع. راقبيها لو سمحت، واتصلي بي اذا وجدت أي ورم في ساقها».

«مفهوم، دكتور. لا بد أن أربطة العظام لا تزال ضعيفة. سأبقيها في السرير قدر الإمكان».

«هكذا يجب» قال وهو يربت على كتفها قبل ذهابه.

جميعهم متشابهون! فكرت دافني. فهو بالكاد تخرج من مدرسة الطب وها هو يتظاهر بكل المعرفة وكأن الممرضة لا تعرف شيئاً.

سرعان ما أصبح عمل دافني روتينياً. فبعد الفطور، تجلس آن على الكرسي المتحرك الذي أحضره لها لوران في اليوم التالي لوصولها، ثم برفقة كلير تقوم بنزهة تزداد بعداً يوماً بعد يوم.

مضى الاسبوع الاول فلاحظت بدون دهشة انها تشعر تماماً وكأنها في منزلها. كانت متفاهمة تماماً مع السيدة كينوش وقد اكتشفت على الفور أن والدة لوران هي

التي تدير المنزل وليس زوجته. فبالإضافة لمواهبها في الطهي، كانت السيدة الكبيرة مشغوفة بالعمل في الحديقة، ولقد انتقل شغفها هذا الى حفيدتيها اللتين اعتادتا على الانضمام اليها في الحديقة الكبيرة تحت اشراف دافني.

خلال هذه الجلسات الطويلة التي كانت تبدأ بعد الغداء، كانت السيدة كينوش تتحدث دائماً عن أولادها. لقد علمت دافني أن لديها ثلاثة أولاد ذكور غير لوران. هناك «أليك» الكبير وهو طبيب أيضاً لكنه في أميركا الجنوبية. ثم هناك ستيفان الذي يعمل في لندن، وأخيراً جايمس التقني في مصلحة المياه والغابات الذي يعيش في قرية مجاورة.

جايمس وزوجته جاءا ذات يوم أحد وتناولا الغداء في المنزل انهما ثنائي لطيف جداً، لكنهما رغم اصرار السيدة الكبيرة لم ينجبا بعد.

أما ستيفان فلقد حقق أمنية والدته وأنجب ثلاثة ذكور.

«انهم شياطين صغار» قالت السيدة كينوش بمرح: «انتظري أن يأتي ستيفان وبرنا في اجازة الصيف، سترين ما يفعله أولادهما الأشقياء».

كانت تتحدث عن الصغار ويبدو انها تحبهم كثيراً. لم تكن دافني تلتقي بفليسيتي إلا نادراً، فزوجة لوران

لا تظهر على الفطور إلا لتعود على الفور الى غرفتها. بعد وجبة الظهر، تغادر المنزل خلف مقود سيارتها الفخمة أو تحبس نفسها مع ضيوفها في الصالون الصغير. لم تكن تحب صحبة الفتاتين والجدة على ما يبدو.

لم تكن دافني تعرف كيف تكون فكرة عن لوران كينوش. فهو شخص جذاب لكنه يبدو طبيعة معقدة جداً. كل ما علمته انه كان جراحاً في طب العيون وانه كون اسماً كبيراً في اختصاصه وانه يستدعى غالباً الى المدن الكبرى كليفربول أو مانشستر.

عندما كانت دافني تنزل في الصباح برفقة كلير، كانت بالكاد تراه يحتسي القهوة بسرعة ثم يستأذن ويخرج بعد أن يربت على كتف الصغيرة. في المساء، كان يتناول طعامه غالباً في المنزل ولكن ما إن ينهي عشاءه حتى يحبس نفسه في غرفة المكتبة، أما اذا كان الطقس جيداً، فكان يذهب الى البحيرة ويقضي بضع ساعات في الصيد.

ذات يوم، بعد الظهر، جاءت السيدة كينوش الى الحديقة حيث توجد دافني وبعد أن ردت على الهاتف.

«انه لوران. سيارته تعطلت في بنريت. يريد منك أن تذهبي لاحضاره».

«الا يمكن لفليسيتي أن... » بدأت دافني.

«لكني خرجت» قاطعتها السيدة المسنة: «لا، أنت الوحيدة القادرة على ذلك. تعالي، سأعطيك عنوان العيادة».

كان قد سبق لدافني أن قادت سيارة العائلة، لإيصالها وسلكت اتجاه بنريت.

«لقد تأخرت» قال لها لوران فور دخولها الى مكتبه الفخم: «لقد مضت نصف ساعة على مغادرتك المنزل».

دهشت دافني، فتوقفت أمام الباب.

«ولكن، بما انها المرة الأولى التي تأتين فيها الى هنا، أسامحك. اجلسي، احتاج بعد الى بضع دقائق».

اشتعلت بالغضب، جلست على الكنبة التي أشار اليها. تدافعت في حنجرتها كلمات جارحة أرادت رميه لكنها سيطرت على أعصابها بجهد كبير.

«أنت غاضبة مني؟» سألها فجأة بصوت هادىء: «أنا آسف لأنني كنت فظاً. أنت تعلمين، اعتقدت للحظة انك سترتمين عليّ. فهمت الآن ما يقصدونه بعبارة «رمقاه بنظرة غضب» يبدو أن هناك أناساً لا تطيقينهم».

مرة أخرى ظلت دافني صامتة من الدهشة، أيحاول اثارتها؟ ولكنه ليس هناك ما يثير الشك في نظرته اليها الآن. «لقد لمحت مثل هذه الرغبة في عيون الأطباء

المبتدئين في مستشفى سانت اغنيز. يجب عليها الحذر! على كل حال، لديه زوجة رائعة الجمال تنتظر في المنزل. «اذا كان يفكر بعلاقة عابرة معي، فمن الأفضل له أن يفكر بشيء آخر» فكرت بغضب.

فجأة، أمسك بدفتره وكتب شيئاً ما ثم نزع الورقة وأعطاها لدافني. قرأت دافني اسمها وعنوانها ومكتوب فيها أن الوصفة لفتاة فوق الواحد والعشرين سنة وفي وسطها مكتوب: «زوج نظارات، لونها زهري».

«بإمكاني أن أطلبها لك اذا أردت» اقترح مبتسماً.

«لست بحاجة لنظارات» أجابته بجفاف مع ا... أحست وكأنها تلميذة صغيرة أمام معلمها في الصف.

«هذا سيساعدك على رؤية الحياة بشكل أسهل. ا... تحبين تجربتها؟» قال ملحاً.

ازداد غضب دافني، يبدو انه مصر على ازعاجـ... واستفزازها.

«لا، أيها البروفسور!» قالت بجفاف وهي تحدق بحدة: «لا أرغب بذلك حالياً. رأيت الكثيرين مثـ... يتصرفون بطريقة لا تدعو للتفاؤل. في المستشفى التقيت بعجزة لا يتلقون أية زيارة، وبأطفال هجره... أهلهم، وبأمهات تلدن أطفالاً لا يهتم آباؤهم بـ... ويفضلون على ذلك مشاهدة مباراة في كرة القدم. كـ... التقيـت بممـرضـات يتهـربـن دائمـاً مـن واجـ...

عملهن...!».

«لا أشك بأنك تعرفت على أمثلة أخرى تغير أحكامك» قاطعها لوران بحزم.

استعادت أنفاسها وقد دهشت بردة فعله. فهي لا تذكر انها غضبت من قبل كما غضبت الآن. يبدو أن خطوبتها من بيتر أرهقت أعصابها. فهذه ليست أول مرة تفقد فيها أعصابها منذ أن تغير بيتر أثر نجاحه الذي أثر فيه بشكل سلبي. فهو وحيد عند والديه، تدلل كثيراً ونجح في دراسته وفتحت أمامه كل الأبواب. خلال إقامته في الولايات المتحدة الأميركية قلت رسائله وكانت جافة، وعند عودته عاملها بكل لا مبالاة وأهملها. عندما حدد موعد زفافهما لم تشعر أبداً بالفرح وكانت تتعذب وتخفي حزنها.

«هل أنت مستعدة؟» سألها لوران وهو يقفل خزانة الملفات.

نهضت بابتسامة اعتذار خفيفة. عندما لاحظت انه لا ينوي القيادة، جلست خلف المقود ببعض العصبية وقادت السيارة. طوال الطريق لم يتبادلا الكلام حتى اقتربا من البلدة.

«لقد تكلمت منذ قليل في أمور لا تعنيني» قال لوران ببطء: «أرجو أن تعذريني».

لم تدر بماذا تجيب، فرمقته بنظرة قصيرة، لكنه لم

يبعد نظره عن الطريق ولم يظهر شيء على ملامحه.

على كل حال، أصبح المنزل قريباً والمنحدر الصعب على بعد مئة متر فقط. آخر مرة سلكته فيها بحذر ومع ذلك وقع الحادث لكنه كان بسيطاً. أما اليوم فلم يكن بسيطاً أبداً وبصعوبة بالغة تحاشت وقوع الحادث. التفتت الى لوران فرأته يضحك بصمت ويحبس قهقهته ولم يهدأ إلا عندما توقفت السيارة أمام المنزل.

«أنا آسف» نجح أخيراً بالكلام: «ولكن لو رأيت كيف كان وجهك عند المنعطف! لم أر في حياتي بأساً كبأسك! وكأن حياتك كلها تتوقف على تلك اللحظة!».

تأملته للحظات بصمت وشعرت أن هذا الرجل بإمكانه أن يكون خطيراً جداً. أرادت أن تحافظ على مسافة بينها وبينه ولكنها لم تستطع مقاومة عدوى الضحك التي تملكتها.

«بصراحة» قالت أخيراً: «كنت خائفة جداً! آخر مرة قطعت هذا الطريق اضطررت لاستعمال مكابح اليد كي لا أتجاوز الطريق».

«لم يكن هناك أي خطر اليوم» قال وهو ينزل من السيارة.

بينما كانت تسبقه الى المنزل، كانت تشعر بارتباك كبير.

حل المساء فأخذت تراقب طريقة تصرفه مع

فليسيتي. كالعادة، كانت السيدة كينوش الصغيرة في كامل أناقتها وكأنها تسعى لاغراء زوجها! أمرهما غريب حقاً. فهي تحدثه بدلال لدرجة أن آن نظرت الى والدتها عدة مرات نظرة غريبة. لكن السيدة كينوش الكبيرة لم تلاحظ شيئاً.

لاحظت دافني أن كلير نزعت سماعاتها ولا تهتم بالحديث، حاول لوران تنبيهها لإعادة السماعات لكنها كانت مشغولة بتناول طعامها الى أن تلقت ضربة خفيفة من قدم دافني فرفعت رأسها وأعادت السماعة.

اكتفى لوران بعقد حاجبيه دون أن يعلق، فحمدت دافني الله على ذلك لأن فليسيتي لم تلاحظ الأمر. فليسيتي كانت يوماً قد فاجأت ابنتها لا تضع السماعات اعتقاداً منها أن لا أحد يراها، فنهرتها بعنف أمام دافني ولم ترحمها. تفاجأت دافني بها كثيراً وحاولت جهدها أن تجنب الفتاة موقفاً مماثلاً.

هذا المساء نفسه شاهدت دافني دون إرادة منها مشهداً جعلها تتساءل حول تصرف فليسيتي الذي لم تجد له تفسيراً. فرغم أناقتها واعتنائها بنفسها ورغم المال الذي تتمتع به لا تبدو هذه المرأة سعيدة. فبينما كانت دافني جالسة خلف النافذة لمحت لوران وفليسيتي يخرجان من المنزل ويتجهان نحو الحديقة.

فجأة، توقفا وبدا عليهما انهما يتشاجران. رأت

دافني فليسيتي تضع يدها على ذراع لوران بحركة توسل قبل أن تقف على مقدمة قدميها لتقبله على خده. بحركة سريعة، أنزل لوران يدها وابتعد مختفياً خلف الاشجار.

خشيت أن يكون قد رآها أحد وأسفت لمشاهدتها هذا المشهد، فتراجعت دافني الى الوراء وهي تتساءل اذا كانت السيدة كينوش الكبيرة على علم بالطريقة الغير لائقة التي يعامل فيها ابنها زوجته، أم انها تتجاهل خلافاتهما الزوجية.

نهار الأحد التالي، كانت دافني والجدة والفتاتان يستعدين للذهاب الى الكنيسة عندما حصلت مفاجأة عامة، ذلك لأن فليسيتي دنت من السيارة وسألت:

«أيمكنني مرافقتكن؟».

أفسحت لها الفتاتان مكاناً للجلوس وانطلقت دافني بالسيارة وهي تتساءل عن السبب الذي دعاها لتشرفهن بمرافقتها، والى أين؟ الى الكنيسة؟ والغريب في الأمر أيضاً انها بعد أيام رفضت دعوة جون روس أحد زوارها الدائمين. جون هذا رجل وسيم أنيق لهذا لم تفهم دافني سبب تفضيل الزوجة القيام بنزهة الى البحيرة على الخروج مع جون.

تحسنت صحة آن في الايام التالية فاقترحت الجدة ان يذهبوا لتناول الغداء في الطبيعة يوم الجمعة، خاصة

وان لوران لن يتناول الغداء في المنزل هذا اليوم. كان الجميع في المطبخ يعدون السندويشات عندما دخلت فليسيتي الانيقة بتنورتها المعرقة وكنزتها ذات القبة العالية، تُرقص في يدها حقيبتها عالياً.

«ايمكنني الانضمام اليكن؟ سمعت انكن ذاهبات بنزهة».

رفعت الجدة نظرها نحوها بدهشة وقالت:

«بالتأكيد».

«سأحضر معطفي، قد يهب هواء بارد».

بالتأكيد لم تكلف نفسها عناء مساعدتهن بإعداد لوازم الغداء واكتفت بانتظارهن في الحديقة.

انه يوم جميل مشمس لكن الطريق كانت موحلة وصعبة فلم تتمكن دافني كغيرها من التمتع بالمناظر لانها كانت تركز اهتمامها على القيادة.

عندما وصلن الى فراسمر، ركنت السيارة في الظل. لكن السيدة كينوش فضلت البقاء في السيارة بينما ذهبت الاخريات الى دوف كوتاج الأثري.

مع أن الفتاتين تفاجأتا بموقف والدتهما، الا انهما لم يظهرا شيئاً. كانتا تعتبران دافني كشقيقة كبرى لهما فسارا الى جانبيها بينما سارت والدتهما خلفهن.

يا للوضع الغريب! فكرت دافني. كأنها هي الوالدة والاخرى هي الغريبة.

لم تتعب آن من هذه الجولة القصيرة. بعد الغداء اخذت الجدة قيلولة بينما الفتاتان تمرحان مع دافني التي طلبت من آن ان ترتاح لأن ركبتها لم تشف تماماً.

«في المرة القادمة» قالت الجدة فجأة: «ستطلب من لوران مرافقتنا، هكذا نتمكن من الابتعاد اكثر. ما اسم ذلك المكان الذي قصدناه مرة مع «أليك»؟» سألت كنتها.

«انه خليج الغربان. لوران «وأليك» يفضلان السباحة هناك، دافني. لكنني افضل السباحة في مياه البحر المتوسط الدافئة».

«ربما يأتي جايمس وسالي ايضاً».

بعد الظهر توجه الجميع الى المدينة لأن آن كانت تريد شراء بعض بطاقات المعايدة. عندما خرجن من المكتبة همست كلير في اذن دافني:

«آن ستكتب رسالة لصديقها «ديك»».

ابتسمت دافني بمكر وهمت بالجلوس خلف المقود. فجأة سمعت صوتاً يناديها.

«هاي، دافني، انتظري».

كان ايفور توماس يركض نحوها والابتسامة مشرقة على وجهه، بالكاد كان يتملك فرحه، وكأنه رأى صديقاً قديماً في وسط الصحراء! ما إن قدمته دافني الى مرافقيها حتى أصر على دعوتهن جميعاً لشرب الشاي

في فندقه.

وافقت الجدة على الفور لكن فليسيتي تفاجأت بعدم اهتمام هذا المعجب بدافني بها، فأظهرت بعض الانزعاج.

كان الفندق عبارة عن بناء قديم أعيد ترميمه بشكل جميل جداً. نادى ايفور على شقيقه الذي قادهن الى شقته التي تقع خلف البناء. سرعان ما استعادت فليسيتي مرحها، ذلك لأن «غاريث توماس» لم يخفِ اعجابه بها وركز كل اهتمامه عليها على عكس شقيقه الذي حصر اهتمامه بدافني.

«كيف وجدت هذه المنطقة، دافني؟».

«انها منطقة جميلة جداً».

«حسناً، بما انك استقريت هنا، اتمنى ان نلتقي مراراً، هناك أماكن رائعة بإمكاني اصطحابك اليها. كما ويمكننا تناول العشاء معاً، اذا كنت ترغبين. ما رأيك بالغد؟».

«هذا لطف منك، ايفور، ولكني بصراحة لا أستطيع أن أعدك بشيء، أنا هنا فقط للاهتمام بطفلة صغيرة خرجت من المستشفى، لست في اجازة، آن لا تزال في فترة النقاهة».

«اذاً؟» سألها متوسلاً.

«اسمع، سأسأل اذا كان بإمكاني ان آخذ شبه اجازة

في السهرة، وسأتصل بك، موافق؟».

«رائع! هذه بطاقتي. سأنتظر اتصالك، لن تنسي، ايه؟ عندما نزلت من القطار لم أكن اعتقد انني سأراك مجدداً. وعندما رأيتك اليوم خلت انني احلم».

هذا المساء، قررت دافني ان تسألهم اذا كان بإمكانها التحرر للخروج. كانت متأكدة انهم لن يعترضوا، لكنها لم تكن تعلم الى من توجه السؤال. الى فليسيتي؟ على كل حال، آن ابنتها هي... ربما من الافضل ان تكلم لوران او والدته؟ واخيراً قررت التوجه الى لوران. ما ان انسحب الى غرفة المكتب حتى تبعته، وبخجل طرقت الباب.

«تفضل».

دفعت دافني الباب بهدوء ووقفت مترددة.

«لا تبقِ حيث انتِ دافني!» قال وهو يرفع رأسه: «تفضلي بالجلوس، لن أعضك».

يا لها من بداية للحديث! فكرت وهي تجلس.

«في الواقع أنا سعيد بمجيئك. لقد أدركت فجأة انك منذ وصولك لم ترتاحي أبداً. ما رأيك لو ترتاحين قليلاً؟ يصادف انني ذاهب غداً الى كارليسل. أترغبين بمرافقتي؟ لن يكون لدي معاينات سوى في الصباح، بإمكانك زيارة القصر خلال هذا الوقت. بعد ذلك، سأصطحبك للغداء، ثم سنذهب بنزهة، ما رأيك؟».

احتارت دافني ولم تجبه على الفور. انها دعوة للخروج برفقته. حاولت جهدها ان تكتم غيظها وغضبها.

«للحقيقة، جئت لأسألك اذا كان بإمكاني التحرر لسهرة. لقد تلقيت دعوة من صديق التقيت به بعد ظهر هذا اليوم».

«كنت أجهل ان لديك معارف في المنطقة» قال بدهشة: «حسناً، على راحتك، أخبري أمي على كل حال كي تتمكن من الاهتمام بآن أثناء غيابك».

ثم تناول قلمه وعاد لعمله متجاهلاً تماماً الفتاة الجالسة مقابله.

من الواضح انه ليس مسروراً، ولكن ما الذي ضايقه؟ هل اعتقد انها كانت ستقبل دعوته بسرعة؟ انها متأكدة تماماً الآن انه كان يريد اغراءها كما فعل ذلك اليوم في عيادته. لكنه رجل متزوج!.

كتمت غيظها ونهضت، دون أية كلمة خرجت من الغرفة. ولكنها خوفاً من أن يسحب اذنه، ذهبت فوراً الى السيدة كينوش الجدة وسألتها. السيدة العجوز لم توافق فقط، بل منحتها اجازة لطوال فترة بعد الظهر والسهرة.

في صباح اليوم التالي تفاجأت دافني برؤية فليسيتي تتناول الفطور مع لوران وكذلك تفاجأت الفتاتان برؤية

والدتهما تستيقظ في مثل هذا الوقت المبكر.

«لوران ذاهب الى كارليسل للمعاينات» قالت فليسيتي بضحكة دلال: «وبما انني يجب ان أذهب الى طبيب الاسنان، سيصطحبني معه. لدي موعد الساعة الثانية. سأتمكن من شراء بعض الحاجيات قبل ان نتناول الغداء معاً. ماذا تريدان أن أشتري لكما أيضاً؟».

«أرجو أن تشتري لنا مثل ذلك، الشامبو الذي تحضرينه من صالون التجميل» أجابتها آن بعد لحظة تردد.

«بالتأكيد يا عزيزتي، لا يمكنني أن أرفض لكما طلباً».

فيما بعد، اتصلت دافني بإيفور الذي سر كثيراً وأصر على أن يأتي بنفسه لاصطحابها.

«سأمر لاصطحابك في الساعة الثالثة والنصف. بإمكاننا التنزه اذا ظل الطقس جيداً، أو نذهب الى السينما ثم نذهب لتناول العشاء بعدها أعيدك الى المنزل. هل يناسبك هذا البرنامج؟».

«تماماً» أجابته بصوت حاولت أن تجعله حماسياً.

كانت قد تألمت من الطريقة التي عاملها بها لوران منذ رفضت مرافقته الى كارليسل. فأخذ يكلمها ببرودة - لكنها اكتشفت أن هذا الامر يعذبها كثيراً. لماذا؟ ماذا يحصل لها؟ هل أثر بها موت بيتر لدرجة انها لم تعد

قادرة على فهم نفسها؟ لوران كينوش رجل متزوج فلا مجال لتشجيعه أبداً.

بدا ايفور توماس لطيفاً جداً. صحيح انه ليس بالوسيم جداً لكنه رفيق لا تشعر معه بالملل خاصة وهو يذكر ذكرياته في البحرية. تكلم عن أسفاره الى الشرق وعن روعة هونغ كونغ واليابان وسنغافورة وتايلاند التي لطالما حلمت دافني بها. حتى انه تحدث عن علاقاته في تلك الاراضي البعيدة وعن أصناف الطعام القريبة.

«إن من يسمعك يظن أن العمل في البحرية ليس سوى مجرد اجازة طويلة!» علقت دافني.

«اوه لا، ابداً» قال بجدية: «فعلى متن السفينة لا يجد المرء وقتاً للراحة، لكل منا عمل يقوم به. اعترف بانني أحببت البحرية كثيراً. لحسن الحظ فكر أخي في فتح مطعم - فندق».

لم تشعر دافني بمرور الوقت معه الى أن سألها متى يمكنه أن يراها من جديد. ابتسمت له.

«لست أدري. اتصل بي الاسبوع القادم. ليس لدي وقت كثير لنفسي. ليس لأنهم يرفضون، فانهم يعاملونني كفرد من العائلة وليس كموظفة، ولكن آن لم تشف تماماً ويجب عليّ مراقبتها».

«ولكن يجب أن تنام باكراً» لاحظ ايفور: «ألا يمكنني أن أمر لاصطحابك ذات مساء لشرب كأس في

الفندق؟».

«لم لا؟ لكنني لا أستطيع أن أعدك، سترى. لنعود الآن».

أمام المنزل، اكتفى ايفور بشد يدها.

«الى اللقاء» قال وهو ينطلق بسيارته.

عندما وصلت دافني الى الداخل، فُتح باب غرفة المكتب بشكل فجائي.

«سمعت هدير سيارة» شرح لها لوران وهو يتقدم نحوها: «فكرت انها ربما تكون فلبستي قد عادت. لم أكن أعلم انك لا تزالين في الخارج» أضاف بتردد: «أتريدين شرب كأس قبل ذهابك للنوم؟».

«لا، شكراً. الوقت متأخر» أجابته بحزم: «سأصعد الى غرفتي».

نظر اليها وبدت عليه الحيرة لدرجة انها اعتقدت انه سيقطع عليها الطريق.

«تصبحين على خير» اكتفى بهذا قبل أن يعود الى غرفة المكتبة.

يا له من رجل غريب! قالت لنفسها وهي تصعد الدرج. هل فكر حقاً أن فلبستي التي كانت تدخل المنزل أم انه كان يعلم انها هي، دافني؟ طردته من فكرها وأغلقت باب غرفتها. على كل حال، يجب أن يكون قد فهم الآن انها لا تنوي أبداً تشجيعه على

اغرائها.

النزهة الكبرى التي أعدت لها الجدة كانت نهار الاحد. بالاضافة الى جايمس وزوجته سالي، كان هنالك دكتور روي الشاب والكومندان روس وأحد زملاء لوران مع زوجته. كلهم كانوا اثني عشرة شخصاً مع ثلاث سيارات الليموزين الكبيرة للوران، ولاندروفر التي قادها جايمس وسيارة البريك لجون روس.

وجدت دافني نفسها تجلس على المقعد الخلفي في سيارة جون روس بجانب د. روي، بينما جلست فلبستي قرب السائق. أما السيدة كينون الجدة فقد ذهبت مع الفتاتين مع لوران بينما جايمس اصطحب معه د. مانبارد وزوجته.

ما ان انطلقت السيارة حتى انشغلت فلبستي بالحديث مع جون روس متجاهلة وجود الآخرين الذين شغلهم الحديث عن مهنتهم. كما توقعت دافني، كان د. روي الابن حديثاً في المهنة ولقد مضى على عمله مع والده ستة أشهر فقط.

«اذاً قررت أن تكون طبيباً في الريف ألا يزعجك ذلك؟».

«الجميع هنا يعرفونني».

«أفهم ما تقصده، والدك عالجهم لسنوات طويلة، والآن أنت...».

«والآن أنا أصبحت طبيباً» قاطعها: «لكنهم غير قادرين على نسيان ذلك الصبي الذي كانوا يعرفونه. يجب أن يواجهوا فكرة انني لم أعد صغيراً. لقد بدأ والدي يتحدث عن تقاعده. لكنه كان قد بدأ عمله يقل فازدادت مسؤولياتي بالتالي. أنت تعلمين، المنطقة هنا تعج بالأهالي... ولكن، كيف علمتِ انني أجد صعوبة في جعلهم يقبلون بي؟».

«والدي أيضاً طبيب صحة عامة. ولطالما حدثني عن بداياته، كانت والدتي الى جانبه، ذلك قبل ولادتي. اعتقدا أن المهمة ستكون سهلة، بالاضافة الى أن والدي لم يكن من المنطقة فاعتبروهم غرباء عن كمبريدج لأن والدي أصله من ايرلندا. على كل حال لم يستقبله الأهالي بذراعين مفتوحين. لكنهم مع الأيام اعترفوا بجدارته واعتبروه مواطناً منهم. صعب جداً أن يفرض المرء نفسه كطبيب».

«أفهم ما كان شعوره. أنا، مشكلتي أنهم لا يزالون يعتقدون انني صغير على هذه المهنة» قال ضاحكاً.

لاحظت دافني أنها تعامله كشقيقها روبن تماماً. مع انه يكبرها بعامين، يبدو عليه أنه أصغر سناً، خاصة عندما نزع ملابسه وبقي في ثياب السباحة.

بعد الغداء، دعاها روي للسير على ضفة المياه. ما ان ابتعدا عن الانظار حتى أحاطت ذراعه بخصرها

وجذبها نحوه بكل ثقة وتأملتها عيناه الزرقاوان.

«أشكر لوران كينوش لأنه جاء بك الى هنا، وإلا لما كنت تعرفت عليك».

لم تستطع دافني إلا أن تتأمله بدهشة. شجعه صمتها فضمها إليه أكثر.

«أتعلمين انك رائعة؟» تمتم روي: «لطالما كنت ضعيفاً أمام الجميلات وخاصة ذوات الشعر الناعم الحريري مثلك! أوه» قال وهو يشم شعرها: «رائحة البحر في شعرك مثملة. ما هو هذا العطر؟».

«انه مجرد عطر عادي».

أمسك يدها وقادها نحو الماء.

«أتمنى أن نعمق تعارفنا أكثر. متى يمكنك أن تكوني حرة مساء؟».

«ابدأ بطرح السؤال على نفسك. كنت أعتقد أن وقت الطبيب ليس ملكاً له».

«هذا مؤسف حقاً. ولكن الامر سهل. سأجعل السيدة كينوش الكبيرة تدعوني للسهرة وسيتصلون بي هاتفياً في حال الطوارىء. هكذا أتمتع ببعض اللذة بمرافقتك. بإمكاننا أن نجد حجة للخروج الى الحديقة!».

«يبدو أنك لا تفوت الفرص».

نظر روي اليها بابتسامة امتنان على هذا الاطراء. لم

تتمكن بسهولة من اقناعه بالعودة. كانت تخشى أن يعتبر آل كينوش أن تصرفاتها غير لائقة، لأنها على كل حال هنا فقط لمراقبة آن، وقد مضى ساعة على غيابها عنها مع انها موجودة مع أهلها.

عندما عادت برفقة روي وجدت لوران ووالدته وآن وحدهم. كانت آن كجدتها تنام نوماً عميقاً بينما لوران يعمل على حل كلمات متقاطعة في جريدة التايمس.

«عدتما بسرعة؟» قال بلهجة ساخرة وهو يرفع رأسه.

«كان عليك مرافقتنا» أجابه الشاب وهو يرمق دافني بنظرة مكر.

«يجب اعداد الشاي. جدتي لن تتأخر في قيلولتها» أعلن لوران بجفاف: «سأضع الشاي على النار، لابد انكما عطشانان أيضاً».

لاحظت دافني سخريته فتجمدت ابتسامتها وتشاغلت بالبحث عن حقيبة الزاد خلف الصخرة. بعد ذلك جلست بجانب آن التي فتحت عينيها وابتسمت لها. لم تكن تنوي مساعدة لوران الذي انحنى فوق النار بوجهه العابس.

تململت السيدة كينوش على كرسيها الطويل.

«أرى أن الشاي أصبح جاهزاً. أرحب بكوب بكل سرور».

بعد لحظات عاد جايمس وسالي يحيطان بكلير

يتبعهم الدكتور مانيارد وزوجته. وأخيراً عادت فليسيتي والضابط جون روس وبدا عليها أنها يئست من محاولاتها للتقرب من لوران ومن الفتاتين.

بعد الشاي جلست دافني مع «سو مانيارد» ووجدت انها لطيفة جداً، وبما انهما تمارسان نفس المهنة، أخذتا تتكلمان عن مهنتهما.

«تعرفت على «دون» في مستشفى كارليسل عندما كان طبيباً متمرناً» شرحت لها سو: «وسرعان ما وقعنا في الحب. لكن يحدث أحياناً أن نتعارك كالصغار».

«تعملان في نفس المستشفى؟»

«اوه لا» أجابت بشيء من الكآبة: «لقد توقفتُ عن العمل السنة الماضية. كما ترين، كنا نريد انجاب طفل ولكن لا شيء حتى الآن...».

بعد قليل ابتعدت السيدة مانيارد، فأسرع روي ودس نفسه بجانب دافني.

«ربما أكون مخطئاً، ولكن يبدو لي أن صديقنا لوران مريض من الغيرة».

التفتت دافني فوجدت لوران جالساً بجانب والدته. اختارت والدته هذه اللحظة لتطلب الشاي مرة أخرى فأسرعت دافني لتسكب لها كوباً، هكذا لتتخلص من كلام روي. لكن عندما عادت الى مكانها لاحظت وبسرور أن روي نسي ذلك الموضوع كله.

لقد أصبح لوران كينوش يحتل حيزاً كبيراً من أفكارها وهي تحاول ابعاده عن رأسها. عندما كانت قد عادت من الشاطيء مع روي، لاحظت بعض الجفاف في موقفه منها. ولكن ربما كان ذلك لأنها تغيبت عن آن لأكثر من ساعة. لأنه ليس من سبب يدعوه للغيرة. لماذا يغار؟ وبأي حق؟ فهو ليس بالتأكيد من أولئك الرجال الذين يعتبرون المرأة تنتمي لهم بمجرد كونها تعيش معهم تحت نفس السقف.

في اليوم التالي، ذهب الى لندن ليشارك في مؤتمر طبي. سيدوم غيابه ثلاثة أيام. كانت دافني قد ذهبت الى مكتب البريد لتضع رسالة، عندما عادت وجدت المنزل خالياً بشكل غريب. صحيح أنه كان من عادة لوران أن يحبس نفسه طويلاً في غرفة المكتب ولكن مع ذلك كانت تشعر بوجوده في المنزل. تفاجأت بنفسها وبأفكارها حتى أدركت انها تفتقده دون أن تلاحظ.

كانت دافني قد نشأت في بيئة متحفظة تقدس الزواج. فبنظرها لا شيء يبرر المشاعر التي تحس بها نحو لوران حتى وان كان زواجه من فليسيتي زواجاً صورياً فقط. انها عاجزة عن اخفاء الاضطراب العميق الذي تشعر به برفقة لوران. قلبها يبدأ بالدقات بسرعة بمجرد ذكر اسمه. لابد أنه تزوج صغيراً. فهو بالكاد تخطى الثلاثين. ولابد أيضاً من أن زوجته أكبر منه سناً

وبالرغم من مكياجها الكامل فإنه لا يخفي تجاعيدها الرقيقة حول عينيها وشفتيها مما يدل على انها تخطت الخامسة والثلاثين.

اتصل ايفور توماس في منتصف الاسبوع. عندما علم أن دافني تنوي اصطحاب الفتاتين الى السينما نهار الجمعة التالي، أكد أن لا شيء يسعده أكثر من مرافقتهن ودعوتهن للعشاء بعد السينما. السيدة كينوش وافقت واتفقوا على اللقاء أمام صالة السينما وكانت الفتاتان سعيدتين جداً.

«رائع!» علقت آن بحماس: «أتمنى أن نتناول العشاء في مطعم السيرف بلان» انه أفضل مطاعم بنريت. والذي اصطحبنا اليه في آخر مرة جاء فيها الى المنزل».

عقدت دافني حاجبيها بدهشة. ماذا تقصد آن؟ لكنها لم تتمكن من سؤالها.

بالفعل كان مطعم السيرف بلان رائعاً بديكوره وخدمته الممتازة وطعامه. أما ايفور فكان لطيفاً جداً معها ومع الفتاتين.

عند عودتهم الى المنزل أقنع ايفور الفتاتين بالدخول الى المنزل، وعندما أرادت دافني اللحاق بهما، أمسك ايفور يدها وأبعدها عن الباب.

«ماذا لو تناولنا العشاء معاً، الاسبوع القادم؟ أنا وأنت فقط. الفتاتان رائعتان، لكني أفضل أن نكون

وحدنا».

«كان لطفاً منك دعوتهما أيضاً، لقد كانتا سعيدتين حقاً».

«أكرر لك انني وجدتهما رائعتين، ولكني أرغب برؤيتك أنت، دافني» ثم ضمها اليه.

كانت ضمة قصيرة لأن دافني التي كانت تحت وقع المفاجأة أولاً، تحررت منه بسرعة. كانت تجده لطيفاً وخلوقاً لكنها لا تشعر نحوه بأي شعور غير الصداقة والمودة. فقررت أن تجعله يفهم أنه لا يوجد أكثر من ذلك بينهما.

«يجب أن أدخل الآن، تصبح على خير» ثم دخلت وأغلقت الباب وراءها وصعدت على الفور الى غرفتها.

طوال اليوم التالي، أرهقتها الفتاتان بالأسئلة عن ايڤور وعن مشاريعهما الحالية، لدرجة انها شعرت بالتوتر وهي تطلب منهما الخلود للنوم ليلاً.

«ان منطقة البحيرات هي منطقة معروفة للقاء الأحبة» قالت آن بمكر: «أتعرفين ذلك دافني؟ حتى ان أمي وأبي التقيا هناك لأول مرة. اعتقد أن هذا ما سيحصل معك أنت أيضاً. غريب، ألا تعتقدين ذلك؟».

«الحب الصاعق نادراً ما يحصل مرتين في نفس المكان» أجابتها دافني: «تصبحان على خير. الآن، وتوقفا عن افساح المجال الواسع لخيالكما. عندما

سأقع في حب أحدهم سأخبركما بنفسي».

بعد أن أرضت فضولهما، ازداد اضطرابها خاصة عندما أجابت على الاتصال الهاتفي في صباح اليوم التالي وسمعت صوت روي يدعوها للذهاب الى النادي يوم السبت القادم.

كانت الفتاتان بجانبها وعلمتا من المتحدث.

«اوه، جدتي!» صرخت آن على الفور: «أنرد. روي يوجه الينا والى دافني دعوه الى النادي، هل نستطيع الذهاب؟».

«لم لا؟» وافقت السيدة كينوش: «حتى انني سأرافقكم».

بعد عودتهم من النادي قبل روي دعوة السيدة كينوش لقضاء السهرة معهم في المنزل. عندما رآه لوران لم يظهر أية دهشة أو حماس. ظل جالساً ينهي عشاءه بصمت تام أمام دهشة والدته من تصرفه الغريب.

فيما بعد نهضت دافني لتحضر الشاي.

«سنشرب الشاي في الصالون الصغير» قالت السيدة كينوش عندما عادت دافني: «لوران، لو سمحت، ساعد دافني، الصينية ثقيلة جداً عليها».

«هاتها» تدخل روي وأسرع نحو دافني، أما لوران، فكان قد وقف وهمّ بحمل الصينية عنها، لكنه عاد وجلس.

«سأشرب كوبي في المكتبة» قال وهو يسكب لنفسه: «سأترككم، لدي عمل».

«اوه، ابقى معنا قليلاً أيضاً» توسلت اليه آن.

لكنه دفع كرسيه وغادر الغرفة بصمت تتبعه نظرات اللوم في عيني والدته. أحست دافني بقشعريرة تجتاحها. اذا استمر لوران بالتصرف هكذا، فإنها ستضطر لحزم حقائبها والعودة الى كمبريدج. لقد أصبح الجو لا يطاق خاصة وان السيدة كينوش بدأت تتساءل عن سبب تصرفات ابنها الغريبة. وعندما ستعلم السبب، وهذا لن يتأخر، ستضع كل اللوم على دافني بالتأكيد. لم يعد هناك مجال للشك، فلوران يحقد على كل من يبدي اهتماماً بدافني.

بعد بضعة أيام، اصطحبت دافني الفتاتين الى طبيب الأسنان ثم قاموا بنزهة في شوارع كويسك. فجأة توقفت آن وصرخت بحماس مشيرة الى اعلان عن مهرجان كويسك الذي سيبدأ قريباً.

«اوه، انظري، أحب أن أحضر احدى هذه المسرحيات».

«وأنا أيضاً، هيا بنا نسأل عن برنامج هذه السنة ونحجز أماكن. ربما ترغب الجدة أيضاً بالمجيء».

تحمست الفتاتان كثيراً وقررتا تدبير الأمور فور عودتهما الى المنزل. كانت العائلة كلها مجتمعة حول

المائدة.

«يا للمصادفة!» قالت فليسيتي عندما فتحت آن الموضوع.

«جون وأنا كنا نتكلم عن المهرجان بعد ظهر هذا اليوم. أنوي أنا أيضاً الذهاب ذات مساء. اوه نعم، بالتأكيد، بإمكانك اصطحاب الفتاتين».

كذلك وافقت السيدة كينوش الأم.

«وأنت، ألا تريدين...؟» سألتها دافني.

«لا، يا عزيزتي. لقد مللت المسارح. الآن يجب أن أكتفي بالتلفزيون. شكراً لك على كل حال» أضافت مبتسمة.

ان السيدة كينوش امرأة رائعة! فكرت دافني وهي تهنىء نفسها لقبولها بهذه المهمة التي جاءت في وقتها تماماً. كانت بأمس الحاجة للابتعاد عن كمبريدج. كانت هذه المهمة ستكون كاملة الروعة لولا وجود لوران الذي يرهقها وجوده. حتى عندما يحبس نفسه في غرفة المكتب، تشعر أيضاً بوجوده وبقوة شخصيته. كيف يمكنها اخفاء حقيقة مشاعرها؟ ان قلبها يدق لهذا الرجل المتعجرف. لن تبقى هنا دقيقة أخرى أكثر من اللازم. ما ان تتعافى آن تماماً حتى تعود الى بلدها.

في صباح اليوم التالي، وبإلحاح ولهفة من الفتاتين، اتصلت بالمسرح وحجزت ليوم الخميس التالي.

في نفس اليوم وبينما كانت عائدة من نزهة الى كويسك، توقفت سيارة بقربهن.

«يا للمصادفة!» قال روي بفرح كبير: «أيمكنني أن أوصلكن الى مكان ما؟».

«لا، شكراً» أجابته دافني بينما الفتاتان اقتربتا من هذا الشاب الذي يفتنهما: «آن بحاجة للتمارين، سنسير قليلاً بعد».

«نعم، السير يناسبها. أنتن رائعات ثلاثتكن. هل أصبحت ركبتك جيدة، آن؟».

«نعم، حتى أنني سأذهب الى المسرح في الأسبوع القادم. لقد اشترت دافني التذاكر»

«حقاً؟» سأل باهتمام: «أيمكنني الانضمام اليكن؟».

لم تستطع دافني ابداء رأيها لأن الفتاتين قبلتا بدون أي تردد. احتارت دافني وهي تنظر الى السيارة تبتعد. روي شاب لطيف جداً. لكنها لا تريد أن يفهم خطأ. انه لطيف ومرح كإيفور توماس، لكنها لا تشعر بأية عاطفة لا تجاه الأول ولا تجاه الثاني. يجب أن يكون رجل ثالث ذلك الذي يحتل قلبها. نعم انه رجل لا يمكنها النظر اليه إلا من بعيد.

عطلة نهاية الأسبوع كانت مخصصة لفتح وتنظيف المنزل الذي يملكه سيفان والقريب من المنزل الكبير ككل عام، يقضي فيه شقيق لوران عطلة الصيف مع

زوجته وأولاده. بعد أسبوعين سيصلان من لندن، لكن السيدة كينوش تريد تجهيز المنزل وتنظيفه من أوله حتى آخره.

وأخيراً جاء يوم الخميس واضطرت دافني رغماً عنها للذهاب مع الفتاتين في سيارة روي الذي دعاهن للعشاء قبل المسرح. كانت السهرة لطيفة جداً وطوال طريق العودة ظلت الفتاتان تتحدثان بحماس كبير. لكن التعب كان بادياً عليهما فأسرعتا على الفور الى غرفة نومهما بينما أمسك روي ذراع دافني واستوقفها. تأملها لحظات تحت الضوء الذي يعلو الباب وقال بصوت هامس:

«لقد كانت سهرة رائعة، أشكرك لأنك سمحت لي بالمجيء معكن» ثم انحنى وطبع قبلة على خدها.

«سأتصل بك بأقرب فرصة الى اللقاء» قال وهو يبتعد.

ظلت دافني تنظر اليه وهو يبتعد. فجأة خرج ظل من الحديقة واتجه نحوها عندما همّت بدخول المنزل.

«لقد أخفتني!» همست عندما عرفت لوران.

«أنا آسف، لم أكن أنوي ذلك. كنت عائداً الى المنزل عندما لمحتك بين ذراعي روي، فقلت لنفسي أن وصولي لن يكون مناسباً في تلك اللحظة، وانتظرت الى أن رحل كي أظهر».

أحست الفتاة بوجنتيها تشتعلان. أكان يجب أن يختار هذه اللحظة بالذات ليعود الى المنزل؟ فكرت وهي تتقدم من الباب لكن صوته استوقفها.

«ألا تعتقدين انك تتصرفين بطريقة سخيفة؟» سألها وقد دس يديه في جيبيه.

«ماذا تقصد؟».

«أولاً ذلك المسمى ايفور والآن روي! في لندن، أخبروني عن مأساتك. لكنني بدأت أعتقد أن اهتمامك بالرجال هو نوع من التعويض أو...».

أحست دافني بالغضب يلتهمها. وشعرت وكأنها كائن حجري يحاول تحليله.

«لست أرى ما يهمك من كل هذا. كما وانه يؤسفني فضول البعض. أعتقد أنهم في مستشفى سانت اغنيز من كلموك عني؟».

«اوه، نعم. فكما تعلمين، لقد كنت طبيباً هناك. ما إن شاع خبر وجودك هنا حتى أراد الجميع التحدث عن حياتك. هكذا فهمت بعض الأمور التي كانت تحيرني. ولكن ما لا أفهمه هو قيامك بمغامرتين بآن واحد مع رجلين مختلفين! في المستشفى، قالوا لي أنك فتاة متزنة ومتحفظة، أما الآن...».

«ماذا تقصد؟» سألته بجفاف.

«انه بعد صدمتك، أصبحت فريسة سهلة لأي كان.

حتى ولو لم يكن يعجبك حقاً».

«لا أفهم...».

«لا؟ حسناً، سأثبت لك!».

وقبل أن تقوم بأية حركة، جذبها نحوه وأبقاها أسيرته للحظات طويلة.

بعد وقع المفاجأة فقدت دافني كل قدرة على المقاومة. فذراعاه تطبقان حولها. لكن سرعان ما تملكتها أحاسيسها بعد أن حرقتها حرارة ذراعاه، فأحست بالضعف التام. أغمضت عينيها، واستسلمت أخيراً لعناقه.

بكل هدوء ورقة، حررها لوران منه، وعندما تكلم كان صوته أشبه بالهمس.

«هل فهمت الآن ما كنت أقصده، دافني؟ الخطر الذي يتهددك نابع منك أنت. أرجوك، لا تدعي نفسك تندفعين!» لكنها بالكاد كانت تستمع اليه. فكرة واحدة كانت تسيطر عليها. انه يشغل فكرها. لقد فضحت نفسها عندما كشفت رغماً عنها عما تكنه له من مشاعر. لشدة استيائها من نفسها، رفعت يدها بدون شعور منها صفعته بقوة ثم أسرعت راكضة الى الداخل.

عندما وصلت الى الدرج سمعت وقع خطوات تقترب. اعتقدت أن احدى الفتاتين جاءت للبحث عنها. لكن لم تكن تلك لا خطوات آن ولا خطوات

كلير. رأت لوران يتوقف بينما رنت ضحكة فليسيتي عالياً.

«عزيزي المسكين!» سمعتها تقول بسخرية: «هل هذا كل ما تمكنت من الحصول عليه؟ أثار صفعة على خدك؟».

اعتقدت دافني انها ستنهار. بعد أن حاول لوران التحرش بها وبعد كلام زوجته الساخر، لا يمكنها تحمل أكثر. استندت على الحائط وأحست بالدموع تحرق خديها. لم يبق أمامها إلا الرحيل.

بدأت بحزم حقائبها فور وصولها الى غرفتها. ولكنها طوال الليل لم تتمكن من اغماض عينيها. في الساعة السادسة، دخلت الحمام ووقفت طويلاً تحت الدوش علها تريح أعصابها. بعد قليل خرجت من الحمام مرتدية روب الحمام، في هذه اللحظة سمعت طرقات على باب غرفتها. انها كلير ويبدو عليها القلق الشديد.

«دافني، تعالي بسرعة، لقد وقعت آن عن السرير».

أسرعت دافني في الممر. كانت آن ممددة على الأرض وجبينها يندى عرقاً وتأوه من الألم. ساعدتها دافني في التمدد على السرير ثم دون أن تضيع الوقت ركضت بسرعة وطرقت على باب غرفة لوران. بعد لحظات قليلة رآته يخرج مرتدياً بيجامته وشعره منكوش.

«انها آن، لقد سقطت عن السرير. ركبتها تؤلمها كثيراً».

اندفع لوران في الممر حافي القدمين واقتحم غرفة الفتاتين. عندما انضمت اليه دافني وجدته منحني فوق آن التي تبكي.

«الأمر بسيط، يا صغيرتي، الأمر بسيط» طمأنها وهو يبعد خصلات الشعر المتدلية على جبينها: «سأتصل بالدكتور روي ثم سأحضر لك حبة مسكن للألم. بانتظار ذلك، ستبلل دافني وجهك بالماء المنعش».

دون أن يوجه أية كلمة لدافني، غادر الغرفة. عادت كلير بعد لحظات تحمل لشقيقتها الدواء. بعد أن شربت آن الدواء مع الشراب الساخن نظرت الى دافني مبتسمة.

«أنا آسفة لأنني أزعجتك».

«هيا، لا تهتمي، الجميع معرضون للسقوط».

لا مجال للرحيل هذا اليوم، فكرت دافني وهي تمسح جبين الصغيرة. وربما ليس قبل بضعة أيام. انها مضطرة للبقاء اذا ظلت ركبة الفتاة تؤلمها.

عادت الى غرفتها بعد أن تركت آن مع كلير. بدلت ملابسها وعادت فوجدت الفتاة فريسة ألم عنيف. لكن لوران لم يتأخر بالعودة إلا انه رفض اعطائها حبة دواء مسكن أخرى.

«الحبوب تضعف ردات فعلها» أكد لوران: «يجب أن تتمكن من الاجابة بدقة على أسئلة الطبيب. سيصل بعد ربع ساعة. أيمكنك البقاء برفقتها ريثما أحلق ذقني وأرتدي ملابسي؟ اذا احتجتماني أرسلي لي كلير».

جلست دافني بجانب آن بصمت.

«أنا ممتنة لك لوجودك بجانبي» همست الفتاة: «مع لوران ومعك لا أشعر بالخوف. عديني أن لا تتركيني وحدي، دافني».

«أنا هنا يا عزيزتي، أنا هنا» وانهمرت دمعتان من عينيها وأدركت فجأة المكان الذي تحتله الفتاتان في قلبها ومدى عذابها اذا تركتهما بسرعة. لكنها لولا توعك الفتاة المفاجيء لكانت استقلت أول قطار الى كمبريدج، ستبقى طالما أن القدر أراد ذلك، وستكتم آلام قلبها واندفاعاته.

كان الدكتور «ليجين» الأب هو الذي جاء بعد قليل.

«آه، أيتها الشقية» قال ممازحاً آن: «ألا تشفقي على رجل عجوز مثلي في مثل هذه الساعة المبكرة؟ هيا، اروِ لي لماذا أنت مصممة على رؤيتي؟».

ابتسمت آن بصعوبة وأخبرته بآلامها. جس نبضها دون أن يتوقف عن الكلام ثم سحب الغطاء عنها وفحص ساقها. صرخت آن من الألم عندما لمس ركبتها.

عندما انتهى من الكشف اقترب من النافذة يتبعه لوران، أما دافني فقد انضمت اليهما بعد لحظات.

«يقول الدكتور لجين أنه لا ضرورة الآن لزيارة طبيب العظام» قال لوران.

«نعم، فهي حالياً بحاجة للراحة. سأكتب لها لائحة الأدوية، ولكن المهدىء يكفي حالياً. لتكثر من شرب العصير والشورباء. سأقول لابني أن يمر لرؤيتها هذا المساء ثم أزورها بنفسي صباح الغد» أضاف وهو يخرج برفقة لوران.

خلال اليومين التاليين لم تبتعد دافني عن سرير آن، حتى أنها انتقلت للنوم معها على سرير كلير التي نامت في غرفة أخرى. في صباح اليوم الثالث استيقظت آن وهي تشعر بجوع شديد بعد أن كانت قد فقدت شهيتها في اليومين السابقين.

«حسناً، سأحضر لك فطوراً شهياً. أما بالنسبة للنهوض من السرير، فيجب انتظار رأي الدكتور. أتشعرين اليوم بالألم؟».

«فقط عندما أثني ركبتي».

«هذا سيسعد الدكتور كثيراً، سأذهب لأحضر لك الطعام. أرجوك لا تنزلي من السرير!».

خلال الأيام الثلاثة الماضية كادت دافني تنسى ذلك المشهد الذي حصل بينها وبين لوران أمام الباب. فقد

أخذ يعاملها بلطف وكأنه هو الآخر نسي تماماً. الشيء الوحيد الذي أزعجها جاء من فليسيتي التي تبعت دافني الى الممر واستوقفتها.

«أنت السبب في وقوع آن. لابد أنها تعثرت بشيء ما كنتِ قد تركته قرب سريرها» قالت لها فليسيتي بجفاف وبصوت مرتفع.

«كفى!» قال لوران الذي كان يخرج من غرفته: «دافني ليست مسؤولة عما حصل. هيا، تعالي، ستوقظين الفتاتين بصراخك».

بعد يومين سمح لوران لآن بالانضمام الى العائلة في الطابق السفلي، لكنه حملها بين ذراعيه على الدرج رغم اعتراضها.

وضعها على الكرسي المتحرك ثم وقف يتأملها بحنان ومرح. ابتعدت دافني متنهدة. انها مستعدة لتدفع غالياً ثمن نظرة كهذه.

بعد الظهر، استلقت آن في غرفتها بينما نزلت دافني وكلير الى الحديقة مع الجدة. بينما هن يروين الأزهار جاءت سيارتان محملتان بالأغراض وتوقفتا قرب المنزل. رأت دافني رجلاً طويلاً عريض الكتفين لم يسبق لها أن رأته ينزل من احدى السيارتين. انه ستوارت بلير، نجم السينما الشهير! ماذا جاء يفعل هنا؟ تساءلت دافني بينما اتجهت الجدة نحو الواصلين

الآخرين.

«ستيفان، عزيزي! لم أكن أتوقع وصولك باكراً. على كل حال منزلك جاهز، حتى انني ملأت الثلاجة» قالت الجدة بحماس.

«أنت رائعة، أمي!».

«اوه، دافني، أقدم لك ابني ستيفان» قالت السيدة ليونوش.

«آه، انت دافني؟ لقد حدثتنا والدتي عنك في رسائلها».

تعرفت دافني على الفور على المرأة التي كانت تقترب. انها «برنا بويد» راقصة الباليه المعروفة. ثم لمحت دافني ثلاثة صبيان صغار يرتدون نفس الملابس ولا يختلفون إلا في طول القامة.

«لا تضحكي أرجوك» تمتم ستيفان: «فهم لا يحملون المقارنة» ثم رفع صوته وقال: «هيا أيها الفرسان الثلاثة، هذا هاري وهذا دون وهذا توم».

تأملتها ثلاثة أزواج من العيون الزرقاء الغامقة وهي تشد على أيديهم. ثم قدمها ستيفان الى زوجته وأخيراً فارونيكا النمساوية التي تعمل كمربية للصغار. كانت آن قد سمعت ضجة السيارتين، فنزلت ورمت نفسها بين ذراعي عمها ثم قبلت زوجته برنا.

«هاي، هاي، هل نسيتم ماما فلاشر؟» سألتهم مديرة

المنزل وهي تفتح لهم ذراعيها.

«أنت تبقين بنظري ماما فلاشر، مهما كبرت» قال لها ستيفان وهو يقبلها.

«هيا أيها الفرسان الثلاثة اتبعوني الى المطبخ» قالت للصغار الذين أسرعوا يضجون حولها.

«وأخيراً تخلصنا من هؤلاء الأشقياء الثلاثة» قالت برنا وهي تجلس: «نحن على الطريق منذ الفجر، التنقل ليس سهلاً مع هؤلاء الصبية».

ارتبكت دافني قليلاً مع وجود هذين العضوين الجديدين من العائلة، فاختارت لنفسها كرسياً بعيداً وأخذت تتابع الحديث.

بعد قليل ظهر صبي شاب أمام الباب فأشرق وجه آن.

«ديك! لم أكن أعلم انك عدت!».

ابتسم المراهق بخجل وتقدم يحمل بيده باقة أزهار كان يخفيها خلف ظهره.

«علمت انك مريضة» قال متلعثماً: «فطلبت من العجوز جاكسون أن يقطف لي باقة الأزهار هذه. هل أعجبتك؟».

«رائعة!» أعلنت آن بحماس: «تفضل لأقدمك الى عائلتي».

هكذا علمت دافني أن ديك في نفس المدرسة مع آن

وقد عاد من المدرسة لقضاء الاجازة.

هذا المساء، كانت آن لا تزال متأثرة بزيارة صديقها.

«لماذا لم تقولي لي بأن لديك عمّاً مشهوراً؟» سألتها دافني: «عندما رأيته ينزل من السيارة اعتقدت انه جاء لتصوير فيلم».

«ألا تجدين أن عودتهم رائعة؟ عمي ستيف رجل رائع، ستتعرفين عليه أكثر. والصبية الصغار مرحون جداً».

بدأ الصغار بالمشاغبة منذ صباح الغد، لقد ارتدوا زي الهنود وأخذوا يحومون في المنزل يضجون ويصرخون، ولحسن الحظ كانت ضحايا سهامهم فقط بعض الكؤوس.

«ماذا قلت لك، دافني؟» قالت الجدة ضاحكة: «ألم أقل لك انهم أشقياء. يذكروني بطفولة أولادي. لقد كانوا سريعين في هربهم كلما أراد والدهم تأنيبهم».

«وأنت أيضاً أمي» قال ستيف، «اذكر انك كنت تعاقبيننا أيضاً».

«مرة أو مرتين فقط» قالت الجدة: «هناك أوقات كنت أصاب فيها بالجنون، لا تنسى انكم كنتم أربعة».

«لكن الرئيس كان أليك. من ينظر اليه الآن لا يصدق انه هو من كان يرسم الخطط».

عهدت والدة الصبية لفلاشر بأمر الاهتمام بالصغار

وانضمت الى الآخرين.

«يا الهي! أشعر بالدوار كلما جمعت سهامهم وألعابهم عن الأرض».

«لا تقلقي برنا. انهم لا يزعجون أحداً».

كم هي مختلفة عن فليسيتي! فكرت دافني وهي تتأمل برنا. ولكن أين هي فليسيتي؟ لابد انها تتسلى على طريقتها كالعادة. اجتماع العائلة لا يعني لها شيئاً. برنا كينوش نجمة معتادة على الضجيج لكنها انسانة بسيطة مليئة بالحيوية والنشاط، لا شيء يدهش اذن برؤية السيدة كينوش الجدة تنظر بفارغ الصبر وصول ابنها وعائلته.

بينما كانت دافني وفارونيكا تروحان وتجيئان بين المطبخ والشرفة، وصلت سيارة الضابط روس الفخمة ونزل منها تتبعه فليسيتي.

«كنا جون وأنا في النادي» قالت بدلال ثم قدمته الى برنا وستيفان.

بعد أن تحدث قليلاً مع ستيفان رحل جون روس من جديد قائلاً أن لديه موعد هام.

انسحبت برنا وفليسيتي الى الداخل وعندما عادت دافني من المطبخ سمعت ستيفان يسأل والدته:

«من هو هذا الرجل؟ لم ألتقيه من قبل».

«انه صديق آل واتسون. انتقل لنعيش في المنطقة

منذ ستة أشهر تقريباً».

«يبدو انهما متعارفان جيداً هو وفليسيتي. متى سيعود أليك؟».

«لست أدري» أجابته والدته: «أعتقد انه لن يتأخر أكثر».

«هذا أفضل! انه يجوب العالم لدراسة الأمراض النادرة! يا لها من فكرة! لقد حان له أن يعود ليعمل في أشغال لا تبعده هكذا عن عائلته. أرغب بأن أرسل له برقية على عجل».

«لا، لا تفعل ذلك» اعترضت الوالدة بينما دخلت دافني ولم تسمع بقية الحديث. هذا الحديث الذي سمعته كان كافياً ليتركها في حيرة كبيرة. يبدو أن ستيفان ليس راضياً عن رؤية زوجة شقيقه تخرج مع الضابط روس. هذا أمر مفهوم. ولكن ما لا تفهمه هو أمر آخر: ما علاقة أليك بكل هذا؟.

ان وصول ستيفان وبرنا أحدث حياة جديدة في المنزل. فإذا لم يكن هناك نزهة، يكون هناك اجتماع عائلي يتأخر ليلاً. بالنسبة للوران، لاحظت انه أخذ يتصرف معها بطريقة غريبة. انه يعاملها كما يعامل زوجة شقيقه برنا أي بنوع من الزمالة. هذه المعاملة كانت ترضيها، لكنها كانت أيضاً تجرحها بعمق.

كانت تجد صعوبة في تصديق أن هذا هو الرجل

نفسه الذي، ذات مساء، ضمها بين ذراعيه واستجابت له بكل شوق. لقد ولّد لوران في كيانها أحاسيس لم تكن تعرفها مع بيتر. إلا ان تصرفه معها الآن، وإن لم يكن جافاً، فإنه يمتاز باللا مبالاة. لماذا تشتكي؟ كل ما كانت تتمناه هو البقاء قرب آن دون أن تضطر للنزاع مع لوران، إلا أن هذا ما يشعرها بالخيبة الآن، كونه قد توقف عن التحرش بها كما حاول أن يفعل في البداية.

في اليوم التالي، دُعي آل كينوش لتناول العشاء عند آل واتسون، أهل المراهق ديك. الأطفال فقط بقوا في المنزل، فاستأذن المراهق كي يقضي السهرة في منزل آل كينوش.

بعد العشاء، ذهبت دافني مع الفتاتين وديك للانضمام الى فارونيكا التي بقيت مع الصبية الصغار في منزل ستيفان.

كان الفرسان الثلاثة الصغار نائمين، فلعب الأربعة بالورق وكانت سهرة مرحة جداً خاصة وان آن وديك سخرا طويلاً من فارونيكا التي لا تجيد التحدث بلغتهم ولا تجيد حتى لعب الورق.

وأخيراً عادوا الى المنزل فدخلت دافني غرفتها وجلست وحدها في الظلام تتذكر بداية السهرة. عندما كانت قد رأت لوران في بدلته السموكن يستعد للخروج مع العائلة حبست اعجابها الشديد بأناقته ووسامته.

وكي لا يلاحظ انفعالها تناولت مجلة وتظاهرت بالقراءة.

تخيلت نفسها بين ذراعي لوران مدعوة كالجميع الى منزل آل واتسون كفرد من العائلة! ابتسمت بمرارة وشعرت وكأنها مراهقة صغيرة تحلم بنجم كبير.

أصبحت دافني تجد صعوبة بالبقاء طبيعية أمام لوران. وأثناء غيابه كانت تبقى تترقب عودته وعندما يعود كان من الأصعب أيضاً النظر اليه والاحساس بوجوده البعيد والقريب في آن واحد.

اقترح ستيفان القيام بنزهة جديدة الى خليج الغربان مع العائلة كلها. دعت فليسيتي - جون روس لكنه اعتذر في الدقيقة الأخيرة. وبما أن لوران لا يمكنه الابتعاد عن الهاتف لم يرافقهم. هكذا لم يكن معهم من الرجال غير ستيفان وجايمس.

اختارت فليسيتي الجلوس بجانب ستيفان في السيارة وما ان وصلا حتى تمددت بجانبه على الرمال. أما هو فلم يعر اغراءاتها أي اهتمام. بعد قليل ابتعدت فليسيتي فالتفت ستيفان نحو دافني.

«سأصطحب الأولاد الى الماء، أتريدين المجيء معنا؟».

كانت برنا تتمدد بعيداً عنهم تحت الشمس ويبدو عليها أنها نائمة. بعد تردد قصير، نهضت دافني وتبعت

ستيفان والصغار الذين اندفعوا بسرعة الى الماء.

«أحب أن أطرح عليك سؤالاً، دافني» قال ستيفان فجأة: «لابد انك لاحظت حركات فليسيتي. أهكذا تتصرف أيضاً مع لوران؟».

أمام دهشة الفتاة، عاد وأضاف.

«لا تقولي لي أنك لم تلاحظي شيئاً. على كل حال يبدو انها لم تنجح. حتى انها حاولت اغرائي أنا، ذلك لأن صديقها ليس هنا، بالطبع. لا يدهشني أن تفعل الأمر نفسه مع لوران. أنت تفهمين، أنا لا أستطيع أن أسأل والدتي عن الأمر، فأنت الوحيدة التي يمكنني أن أسألها».

بلعت دافني ريقها وعجزت عن التفكير. ستيفان طرح عليها سؤالاً محدداً، لكنها لم تفهم معناه.

«سمعتها تناديه يا كنزي» قالت بعصبية.

«عزيزتي دافني» قال ستيفان وهو يخنق غضبه: «انها تستعمل هذه الكلمة مع كل الرجال! ربما تُظهر بعض التحفظ في المنزل. هنا، تحاول استفزاز برنا. أنا لا أفهم شقيقي أليك» أضاف ستيفان: «انه يذهب الى آخر العالم لدراسة الجراثيم والأمراض! وكأنه ليس لهما منزل خاص بهما، يترك فليسيتي تسمم حياة كل المقربين منه كل مرة يسافر فيها. هذا بالاضافة الى كونها أماً غير مثالية، انه أمر لا يغتفر. تصوري أن

والدتي هي التي أشرفت على تربية الفتاتين. أعتقد أن مستقبل ابنتيها لا يهمها أبداً، ولا يهم أليك نفسه أيضاً. لقد قلت له مراراً انه أناني ومهمل لكنه لم يتغير. أنا لا أرمي الحجارة، لاحظي جيداً! حتى الآن، فليسيتي لا تزال امرأة جميلة. ولكن كان يجب أن تريها عندما كانت في السادسة عشرة من عمرها، كانت رائعة جداً. سحرت أخي على الفور. لكنه عندما صحا من صدمته لم يحرك اصبعاً لعلاج الأمر...».

«تقصد أن فليسيتي... زوجة أليك؟» تمكنت دافني أخيراً من الكلام.

تأملها ستيفان للحظات بدهشة.

«كنت تعتقدين انها زوجة... لوران؟ يا الهي! لهذه الدرجة؟» وأخذ يضحك لكنه عاد ينظر الى دافني بجدية.

«أنت محقة. هذا ليس مضحكاً. هكذا جعلتك فليسيتي بتصرفاتها تعتقدين أن لوران زوجها؟ يا الهي! لقد حان الوقت ليعود أليك! ولكني لا أفهم لماذا لم تشرح لك أمي أو أخي حقيقة الوضع!».

«لابد انهما اعتقدا انني فهمت الوضع بنفسي. كما وانني لم أطرح السؤال مع انني لاحظت انهما ينامان كل واحد في غرفة مستقلة. قد يبدو الأمر سخيفاً، لكن كل ما لاحظته هو انهما غير متفاهمين».

«تعالي سنؤجل تتمة الحديث لمرة أخرى» قال وهو يمسك بيدي الصغار ثم عادوا جميعاً الى الشاطىء.

ما إن اقتربوا حتى أسرعت فليسيتي واقتربت من ستيفان.

«لماذا لم تقل لي بأنك ترغب باصطحاب الصغار الى الماء؟ كنت سأرافقك. لا تقل لي بأنك تفضل صحبة دافني!».

نظر ستيفان الى ملابسها الثمينة وقال متهكماً:

«ثوبك هذا جميل جداً كي يتبلل بالماء والرمال. كما وانني لا أفهم سبب مجيئك، كان من الأفضل أن تذهبي الى عرض للأزياء».

«أنت تفهم جيداً سبب مجيئي» قالت بدلال: «انك أنت من اقترح فكرة هذه النزهة، وأنت تعرفني الآن جيداً. انت لست وسيماً فقط ولكنك مشهور جداً. أية امرأة تسعدها مرافقتك».

لم يلاحظ أحد شيئاً غير دافني لأن الآخرين كانوا يعدون الغداء. فجأة نهضت برنا عن منشفتها.

«فليسيتي» قالت بجفاف: «أنت غبية حقاً! ليس فقط ذلك، حتى انك لا تلاحظين انك أيضاً تزعجين ستيفان!».

ساد الصمت واحمر وجه فليسيتي. لم ترغب دافني بحضور نزاع عائلي، فانسحبت مع انها سرت بتصرف

برنا لأن فليسيتي تستحق ذلك.

سمعت وهي تبتعد ضحكات ستيفان، فالتفتت لترى انه أمسك بسرطان صغير. أسرعت دافني لتجلس وحدها وتفكر بحديثها الاخير مع ستيفان. اذاً لوران عازب وفليسيتي زوجة شقيقه. هذا يعني انه لا يستحق الصفعة التي وجهتها له. لهذا السبب حقد عليها. كيف يمكنها الآن أن تغير موقفها منه؟ كيف ستكون ردة فعله، اذا بعد أن ردت محاولته، شجعته من جديد؟.

عندما حان وقت العودة الى المنزل، طلبت دافني من ستيفان أن لا يخبر لوران بأنها كانت تعتقده زوج فليسيتي.

«حسناً» قال ستيفان بعد تردد: «لن أقول له شيئاً. انت تحبينه، أليس كذلك؟».

احست دافني باحمرار وجهها. فهي ليست معتادة على مثل هذا الحديث المباشر. لاحظ ستيفان اضطرابها فضحك.

«اعذريني، لم يكن علي أن أطرح عليك هذا السؤال».

عند وصولهم الى المنزل اقترحت الجدة على ابنها وزوجته البقاء لتناول العشاء. نظرت دافني الى العائلة المجتمعة حول المائدة وهي تتساءل كيف أمكنها أن تقترف مثل هذا الخطأ. لماذا اعتقدت أن لوران زوج

فليسيتي؟.

عندما انتهوا من العشاء رن جرس الهاتف. بعد لحظات عاد لوران واقترب من فليسيتي.

«أليك سيعود غداً، يريد أن تنتظريه في مطار لندن».

«وكيف سأذهب، لندن ليست قريبة. سيكون أليك قد وصل الى هنا قبل وصولي أنا الى المطار؟» اعترضت فليسيتي بعصبية.

«لا تقلقي، سأتدبر الامر، سيصطحبك «جاك ويتربي» في طائرته الخاصة. على كل حال، طائرة أليك ستصل بعد الظهر. سأتصل بجاك، لا تقلقي».

تفاجأت دافني لأن الفتاتين آن وكلير لم تبديا رغبتهما بمرافقة والدتهما الى المطار، يبدو انهما معتادتان على غياب والدهما. حتى ان رحلة في طائرة خاصة لاستقباله لم تثر حماسهما.

لم تفهم دافني سبب تبدل فليسيتي المفاجىء في صباح اليوم، يبدو أن كلام برنا واهمال ستيفان لها وضعا حداً لحركاتها المزعجة، لدرجة انها شكرت دافني عندما ساعدتها في الصعود الى سيارة لوران الذي سيوصلها الى كارليسل لتطير من هناك الى لندن.

عاد لوران وبدا عليه وكأنه تخلص من حمل ثقيل بعد رحيل فليسيتي، وانضم الى الآخرين بينما كان ستيفان يتحدث عن المعجبات به وبفنه أمام دهشة

دافني.

«لو ترين جبال الرسائل التي تصلنا كل يوم» قالت برنا بمرح: «كلهم من المراهقات اللواتي ترغبن بصورة موقعة منه. لهذا جئنا بسكرتيرة تحرر لهن نفس رسائل الشكر».

«كان عليك أن ترسل لهن صورة لك وبرنا بين ذراعيك» نصحه لوران: «هذا يهدأ قليلاً من حماسهن».

«أتتصور ذلك؟» قالت برنا: «كثيراً ما تظهر لنا صوراً معاً، لكن الامر لم يتغير، حتى انه أصبح مزعجاً».

«مزعجاً؟» اعترض زوجها بمرح: «لأنهن يجدنني الاجمل؟».

«ذلك لأنهن لا يعرفنك جيداً».

نهض وخرج مع زوجته ضاحكين وكأنهما يتبادلان مزاحاً لا يفهمه أحد غيرهما.

الفصل الثالث
موقف لوران

في اليوم التالي، اتصل أليك ليخبرهم بأنه سيقضي مع فليسيتي بضعة أيام في لندن قبل عودته. اذاً لن يحضرا حفل الاستقبال الذي أعدته السيدة كينوش مساء الاربعاء. دافني كانت قد أصبحت تعرف معظم المدعوين. ديك واتسون وأهله، د. ليجين الاب والابن. المفوض وزوجته، وعدد من أصدقاء العائلة، وشاب يدعى ويليام برن يسكن في الناحية الاخرى للبحيرة.

لم تكن دافني قد أحضرت معها سوى ثوبين للسهرة فاختارت الثوب البنفسجي الذي كانت قد اشترته لحضور زفاف احدى قريباتها. اعتنت بمكياجها ووضعت العقد الذهبي الوحيد الذي تملكه ونزلت ثم توقفت أمام باب الصالون. كانت السيدة ليجين تتحدث مع ستيفان والمفوض بينما السيدة كينوش الكبيرة تبتسم لرجل عجوز يجلس بجانبها. قرب النافذة وقفت فارونيكا وآن وكلير حول روي ليجين. بينما تجمع الآخرون حول جايمس كينوش يستمعون لنكاته. أما لوران، فكان يقف مستنداً على جدار المدفأة يهز رأسه استماعاً للدكتور ليجين الأب.

اقتربت دافني من السيدة كينوش الكبيرة بينما نهض ويليام برن ومد يده نحوها.

«لقد سمعت الكثير عنك. ان آن محظوظة جداً لأن شخصاً مثلك يهتم بها».

انزعجت دافني وقبلت بالكأس الذي ناولها اياه ستيفان ثم ذهبت للانضمام الى المجموعة التي تحيط بروي ليجين.

بعد العشاء وجدت دافني نفسها تجلس بجانب جايمس وبرنا. لكن عندما انتهت من شرب قهوتها. رأت روي ليجين يقترب منها.

«هذه أول مرة طوال السهرة نكون فيها وحدنا. . .

تقريباً وحدنا».

عندما لمح دافني تتلفت حولها أضاف ليطمئنها:

«لا يمكنهم سماعنا، فهم يتحدثون في السياسة. برنا يسارية وجايمس من المتحفظين، بعد ساعة فقط تربنهم يعيدون بناء العالم، كل على طريقته».

ضحكت دافني أمام طبيعته المرحة، فنهض روي وقادها نحو باب الشرفة الزجاجي.

«لقد مضى قرن ولم ألتق بك...».

«أنت تعلم بأنني جئت للاهتمام بآن. ليس لدي متسع من الوقت للخروج والسهر».

«كنت أعتقد انك كنت تعيشين في لندن وانك معتادة على الخروج والسهر».

«صحيح انني كنت أعيش في لندن وأعمل في مستشفى».

«ألا تفتقدين لأضواء المدن؟ انت تعلمين. زقزقة العصافير ورؤية الخراف تجعلني أمل أحياناً».

«لكنني أنا لا أفضل جحيم لندن. صدقني، زحمة السير والهواء الملوث يشعرني بالملل هناك. كنت أجد سعادة عندما أعود في نهاية الاسبوع الى كمبريدج».

«لقد ذهبت الى كمبريدج مرة واحدة. كان ذلك لحضور حفل في الجامعة».

«غريب. الناس لا يفكرون الا بالجامعة عندما نذكر

كمبريدج. مع ان المدينة اسمها كمبريدج والجامعة كمبريدج...».

«ماذا لو تتكلم عنك أنت؟» قاطعها روي: «أجيبيني، متى ستتناول العشاء معاً؟ أنا حر يوم الثلاثاء القادم، أيناسبك ذلك؟».

«لست أدري. سيعود والد آن قريباً. اذا رأى أن ابنته لم تعد بحاجة لوجودي، لا يبقى أمامي الا أن أحزم حقائبي».

«هذا يدهشني. أنا أعرف أنيك جيداً سيمنحك اجازة مدفوعة بسخاء ويشكرك لما فعلته مع آن. كان قلقاً جداً عليها. انه يحب ابنتيه كثيراً. على كل حال، سأتصرف وكأنك ستتمكنين من التحرر نهار الثلاثاء. سأحجز طاولة في مطعم سيعجبك حتماً».

لم يكن أمامها حل آخر غير قبول دعوة روي. ولكن كيف ستكون ردة فعل لوران عندما يعلم انها خرجت مجدداً مع روي رغم تحذيراته؟.

لم يتغير شيء خلال الايام التالية. أما يوم الثلاثاء وبينما كانت خارجة للانضمام الى روي الذي ينتظرها في السيارة، التقت بلوران في طريقها.

«تسليا جيداً» اكتفى بهذا القول وهو يحي روي بحركة من يده ثم اختفى داخل المنزل. لقد كانت دافني أفهمته انها لا تقبل تحرشاته ولا نصائحه. ويبدو انه

رجل لا يكرر نصائحه مرتين.

كان الاسبوع قد أوشك على نهايته عندما عاد أليك وفليسيتي. فهمت دافني بسرعة لماذا كانت فليسيتي تقضي معظم وقتها مع شخص كجون روس. ذلك لأنه كان شبيهاً بزوجها. أليك رجل طويل لكنه نحيف بعض الشيء. لابد انه كان ينحني كثيراً فوق الميكروسكوب لأنه يبدو مصاباً بضعف في النظر.

آن وكلير كانتا سعيدتين جداً برؤية والدهما. فطوال السهرة كانتا تلحان بالأسئلة وتقبلانه وهما تفتحان الهدايا.

صحيح أن آن أصبحت تسير بشكل أفضل لكن ركبتها كانت لا تزال تؤلمها. وصف لها الطبيب جلسات مساج يومية وعهد بها الى دافني. لكن آن كانت محرومة من النزهات الطويلة التي لم يكن مسموحاً بها إلا لكلير.

ذات يوم وبينما كانت دافني تستعد للتنزه مع كلير، لاحظت حزن آن فاتصلت بصديقها ديك ليزورها، ديك أبدى سعادة كبيرة.

بعد ساعة، كانت دافني وكلير تتنزهان على ضفة البحيرة فلمحتا مركباً صغيراً يقترب من الشاطىء. لم تتأخر دافني بمعرفة من يمسك بالمجذافين. انه لوران.

«ماذا تفعل هنا في مثل هذه الساعة؟» سألته عندما

اقترب: «هل تقاعدت؟».

«أبداً» أجابها مبتسماً: «كان عليّ أن أشرف على عملية جراحية اليوم، لكنني أجلتها للأسبوع القادم. أترغبين بالانضمام الي أنت وكلير؟ يسعدني اصطحابكما بنزهة قصيرة في الماء. شرط أن لا تدفعان بالأسماك الى الهرب».

وافقت دافني وكلير بحماس. عندما وصلوا الى منتصف البحيرة، توقف لوران عن التجذيف فساد الصمت التام حولهم. مرت ساعة كاملة ولم تعلق أية سمكة في صنارته.

«يبدو أن الاسماك تختبىء هذا اليوم، لا ضرورة للإلحاح» قال لوران مبتسماً: «من الافضل أن نعود قبل تساقط المطر. لقد تركت سيارتي قريباً. سأعيدكم الى المنزل».

بعد قليل، ساعدهما لوران بالنزول من المركب وسار ممسكاً بيد كلير حتى السيارة. تأملتهما دافني وهي تتمنى لو تمسك يده. على كل حال، كان يمسك قصبة الصيد في اليد الاخرى.

كانت مجموعة من الخراف ترعى قريباً منهم فتأخرت دافني تتأمل القطيع الصغير.

«أتحبين الطبيعة؟» سألها لوران.

«جداً».

كانت الطبيبة الفيزيائي لطيفة جداً. أجلست آن على السرير وغطت ركبة الفتاة بمنشفتين سميكتين ثم ركزت طرفي الآلة التي بدأت بإصدار صوت منتظم.

«اذا أصبح ساخناً جداً، أخبريني على الفور» قالت لها الطبيبة: «سأغيب للحظات. رني على الجرس اذا احتجتني».

ظلت دافني تراقب الآلة وعندما عادت الطبيبة أعطتها كل التوجيهات اللازمة.

في اليوم التالي وصلت عربة كبيرة تحمل صندوقاً كبيراً من الخشب يحتوي على كل ما يلزم. حمله أليك وستيفان ووضعاه في غرفة آن. ما ان شغلوا الآلة حتى بدأت دافني بالجلسات للفتاة كما تعلمتها في المستشفى وسرعان ما قرأت على وجه الفتاة علامات الرضى والراحة.

وجدت دافني السيدة كينوش على وشك اعداد الفطور برفقة أليك عندما نزلت من غرفتها في صباح اليوم التالي. كانت تريد أن تعلم اذا كان بإمكانها أن تأخذ فرصة للخروج مع روي ليجين. سكبت قهوتها ووجهت السؤال.

«لقد سمعت انك لم تأخذي ولا يوم اجازة منذ وصولك الى هنا» قال أليك: «لماذا لا تأخذين نهار الثلاثاء بكامله شرط أن تنهي جلسة آن. سأهتم أنا

بالفتاتين أثناء غيابك».

«بالتأكيد، يا ابنتي» قالت السيدة كينوش مبتسمة: «ارتاحي قليلاً، ربما ترغبين بالذهاب الى صالون التجميل وشراء بعض الحاجيات... بإمكانك استعمال السيارة اذا أردت».

«شكراً جزيلاً» قالت دافني متلعثمة: «لا أريد أن...».

«هيا هيا» قال أليك مشجعاً: «تسلي قليلاً أنت تستحقين ذلك».

لم تدر دافني كيف تشكره وشعرت فجأة بالامتنان الكبير للسيدة فيلوز رئيستها السابقة في مستشفى سانت اغنيز التي لولاها لما تعرفت على عائلة كينوش. هذا العمل لم يسمح لها فقط بالهروب من كمبريدج في الوقت الذي كانت فيه غارقة في الانهيار العصبي، ولكنه أيضاً سمح لها بالتعرف على آل كينوش اللطفاء. باستثناء فليسيتي وبعض مواقف لوران، كل شيء يسعدها هنا.

سرعان ما حل يوم الثلاثاء، فما ان أشرفت على جلسة آن حتى دخلت غرفتها وحملت حقيبة يدها ومعطفها ثم نزلت الى الكراج لتخرج السيارة الصغيرة.

عند الظهر كانت في صالون التجميل تنظر الى نفسها في المرآة في الأيام العادية، كانت دافني تغسل شعرها

جلست دافني على المقعد الخلفي بينما جلست كلير بجانب عمها وسرعان ما نامت.

«يبدو أن هواء الريف يناسبك» قال لوران فجأة.

لم تدر بماذا تجيبه فظلت صامتة تتأمل الحقول الممتدة على جانب الطريق.

«كنتِ تحبينه كثيراً؟».

ارتبكت دافني ثم تنهدت ولم تجب.

«لست مضطرة للإجابة، ولا تقلقي بالنسبة لكلير، لقد نزعت سماعاتها منذ وقت طويل ونامت... كما ترين، دافني، لقد تغير وجهك منذ عودتك. أحياناً أجده مفتوحاً ككتاب، وأحياناً أخرى مغلقاً. حالياً تبدين وقد أسدلت ستارة. ليس لدي أية فكرة عما تفكرين به. وأجهل اذا كنت سترضين فضولي أم لا».

«لا. ان موت بيتر لم يحطم قلبي، اذا كان هذا ما يهمك» تمتمت أخيراً.

«وهنا تكمن كل المشكلة».

نظر اليها بدهشة وحيرة.

«لكنني كنت قد أدركت قبل ذلك انني كنت سأرتكب خطأً كبيراً».

«ومع ذلك كنت على وشك الزواج منه!».

«لم أكن أجرؤ على فسخ خطوبتنا. أنت تفهم، لقد تعرفت على بيتر وأنا طفلة صغيرة لأن أهله كانوا

يسكنون قريباً منا. عندما اكتشفت انني لا أريد هذا الزواج، كان قد فات الأوان، فلم أستطع التراجع».

«اذاً كنت ستتزوجين منه لو لم يمت في ذلك الحادث؟ انه جنون وغباء!».

«بل هو الجبن بكل بساطة! كان كل من حولنا مقتنعاً بأننا خلقنا الواحد من أجل الآخر وان زواجنا ليس الا مسألة وقت. خفت أن أسبب الهم لوالدي ولوالديه. الآن أعرف انه كان علي أن أعترف لبيتر انني لم أكن أحبه».

«وهل كنت تحبينه لوقت طويل؟».

«كنت في البداية أحبه بجنون. ففي سن الثامنة كنت أعتقد أن هذا هو كل الحب. حتى ان بيتر كان في ذلك الوقت يمثل لي الكمال كله».

«لكن عيوبه ظهرت لك في وقت متأخر؟».

«ليس الأمر حقاً كذلك. لاحظت بكل بساطة أننا غير متناسبين، أو بالأحرى، لست المرأة التي تناسبه. ولو لم يمت وتزوجنا لكنت تأقلمت معه وحاولت جهدي لأكون الزوجة الصالحة له».

«ليس أسوأ من أن تتزوج فتاة بدون اقتناع. ألم يخطر ببالك أن هذا التصرف غير شريف من جهتك. ألا تعتقدين أن ذلك الشاب المسكين كان يجب أن يعرف حقيقة أفكارك؟».

«الامر أقوى منك، أليس كذلك؟» أجابته بحدة: «ألا يمكنك إلا أن تكون فظاً...».

ضحك لوران بصمت.

«هناك ما يريح في طريقة غضبك هذه. ألا تفهمين انني أتعمد اثارتك؟ المسألة نظرية. ما إن رأيتك حتى بدوت لي مشغولة ومنطوية على نفسك في البداية لم أكن قادراً على طرح الاسئلة حول ذلك الضباب الذي يسدل عليك الرؤية».

«بالطبع، قام زملاؤك القدامى في مستشفى سانت اغنيز بالإجابة على تساؤلاتك» قالت بسخرية تصبغها المرارة: «لهذا السبب تقريباً وافقت على المجيء الى هنا. كنت أريد الابتعاد لبعض الوقت عن أصدقائي وعن أهلي. بالنسبة لهم، كنت ضحية القدر القاسي. أما أنا فكنت أشعر بالخجل والذنب! أؤكد لك انني احتجت لوقت كي أخرج من هذه الحالة».

«حقاً تمكنت من ذلك».

«ان اقامتي هنا وحسن استقبالكم لي ساعداني. خاصة والدتك والفتاتان. لم أكن لأقع على أناس أفضل».

«ولا نحن أيضاً» أكد لوران: «أحياناً الصدف تأتي في الوقت والمكان المناسب. أنت كنت تبحثين عن مكان تلجئين اليه ونحن كنا نبحث عمن يهتم بآن».

«للحقيقة اضطربت قليلاً. فأنتم عاملتموني كفرد من العائلة بالإضافة الى أجر مرتفع».

«لا ضرورة للشعور بالاضطراب والحرج. آل كينوش عاجزون عن مكافأتك عما فعلتيه من أجل آن، كما وان مهمتك لم تنته بعد. أليك سيصطحبها الى الطبيب الذي أجرى لها العملية، وبدون شك سيطلب منك مرافقتها. حان الوقت لمساعدتها على السير بشكل طبيعي وأنت ستساعدينها على ذلك بمراقبة تمارينها في المنزل. هذا أسهل من ذهابها كل يوم الى المستشفى».

«لكنني لا أعرف شيئاً عن الطب الطبيعي. انه ليس مجرد تدليك بسيط» اعترضت دافني.

«ستتعلمين بسهولة، المهم المواظبة. آن المسكينة ستحتاج أيضاً لشهرين أو ثلاثة».

توقف لوران عند تقاطع الطرق قليلاً بانتظار أن تصبح الطريق سالكة، فساد الصمت بينهما.

«والآن بعد أن أصبحت تعرف كل شيء عن حياتي» قالت دافني بعد أن عادت السيارة تتابع طريقها: «ما رأيك لو تجيب على أسئلتي؟ مثلاً لماذا لم تتزوج حتى الآن مثل أشقائك؟».

ضحك لوران لأنها فاجأته بهذا السؤال.

«عندما يلعب المرء دور المستجوبين عليه هو أيضاً أن يخضع للاستجواب».

أضافت الفتاة بإصرار.

«هذا يعني نقل الحرب الى مخيم الاعداء» أجاب ضاحكاً: «حسناً، كنت قد التقيت بفتاة أحببتها. التقت طرقانا في الجامعة، لكنها توفيت أثر مرض في الدم».

«أنا آسفة!» تمتمت دافني.

«انها أمور تحصل... لكن الزمن كان كفيلاً بشفائي من تلك القصة. لكن المشكلة انني لم أتمكن من العثور على فتاة مثل ماري، لهذا السبب لم أتزوج بعد».

كلمات لوران لم تكن تشجع على ابداء أي تعليق فلزمت الفتاة الصمت بقية الطريق.

هذا المساء، لم يحبس لوران نفسه في غرفة المكتب كالعادة بعد العشاء، وكان أليك وفليسيتي قد ذهبا لتناول العشاء في الخارج. بينما كانت دافني تحاول اعادة صينية القهوة الى المطبخ، نهض لوران وحملها عنها، عندما عاد، جلست على الكنبة لتتابع الفيلم الذي يعرضه التلفزيون. بصمت تام، اقترب لوران وجلس الى جانبها.

فيما بعد، في غرفتها، أخذت دافني تلوم نفسها. الى متى تخفي شعورها نحوه؟ انها عاجزة عن مقاومة الدفء الروحي الذي تشعر به الى جانب لوران.

بعد يومين، طلب أليك من دافني أن ترافقه الى

المستشفى حيث ستخضع ابنته الى التمارين الأولية. كانت فليسيتي أثناء تناول الفطور قد اعتذرت لأنها لن ترافقهم الى المستشفى لأن لديها موعداً للعب الغولف. بالتأكيد شريكها في اللعب معروف. قالت دافني لنفسها. ولكن اذا شك أليك بأن زوجته تخرج مع جون روس لن يبالي ربما خوفاً من الشجار معها أمام بقية العائلة.

في المستشفى أخبرهم الطبيب ان آن لن تحتاج لعملية أخرى حالياً.

«يجب أن تتابع علاجاً خاصاً» قال أليك: «وأحب أن تشرفي أنت على تمارينها. سيرسلون لنا من لندن الآلات الضرورية بعد ظهر اليوم».

«ولكنني لا أعرف شيئاً عن هذا المجال...» اعترضت دافني.

«اهدأي» قاطعها أليك: «لن تخرج من هذا المستشفى إلا بعد أن تكوني تعلمت على طريقة استعمال هذه الآلات. واذا احتاج الامر سنعود مرة أخرى بعد الظهر. أريد أن تكوني متأكدة من نفسك».

ابتسمت دافني وشعرت بأن عصبيتها خفت. ارتاحت لرؤية والد آن يتفهم مخاوفها. على كل حال الطب الطبيعي فن وممارسة. يجب أن يكون المرء بارعاً في تمرين العضلات وأقل خطأ يؤدي الى نتائج سلبية.

وترتبه بكل بساطة في المنزل. أما اليوم، فقد قررت أن تبدو بأبهى حللها وتساءلت اذا كان روي ليجين سيتخيل انها قامت بكل هذا العناء من أجله هو ومن أجل الحصول على اعجابه. لم تكن أبداً تنوي أن تحيي آماله وتجعله يعتقد بإمكانية نشوء علاقة مميزة بينهما. ابتسمت لنفسها ونهضت متجهة نحو الصندوق.

عند عودتها الى المنزل سارت بجانب الجدران حتى وصلت الى غرفتها وحمدت الله لأنها لم تلتق بأحد من العائلة كي لا تسمع أي تعليق على أناقتها ومكياجها.

كان روي يبدو بأفضل مزاج عندما جاء ليصطحبها في المساء، انتظرها بفارغ الصبر أمام سيارته.

«كنت أخشى أن تتأخري. لقد حجزت طاولة لنا».

الفندق الذي قصداه كان يبعد خمسة كيلومترات عن المدينة. لاحظت دافني نظرات الاعجاب في عيني روي، لكنه لم يعلق على أناقتها ومكياجها طوال الطريق حتى وصولهما. ساعدها في النزول من السيارة وتمتم أخيراً:

«أنت رائعة، دافني. شكراً لأنك اعتنيت بجمالك من أجلي».

قبل أن تجيبه سمعت أصواتاً قريبة من مدخل المطعم. رفعت رأسها فلمحت ستيفان وبرنا يتبعهما لوران مع فتاة شقراء تتأبط ذراعه.

عندما وصلوا الى منتصف الصالة، رأوا روي ودافني فتوقفوا أمام طاولتهما قليلاً.

«يبدو انه وقع أخيراً في شباكها» قال روي عندما عاد للجلوس بعد ابتعادهم. تأملته دافني بدهشة.

«يبدو إنك لا تعرفين هذه المرأة التي برفقة لوران. انها الدكتورة «نايلور» طبيبة البنج في المستشفى. انها جميلة جداً. لقد حاولت التحرش بها مرتين. تصوري. بالنسبة لها أنا مجرد طبيب صحة عامة، يعجبها ذوو الاختصاصات أكثر. كلوران مثلاً».

«ربما رفضت دعواتك فقط لأنك أصغر سناً منها» ثم غيرت الموضوع لأنها شعرت بغيظ كبير. وأخذت تتحدث عن آخر برنامج تلفزيوني شاهدته مع السيدة كينوش بالأمس.

«ليس لدي فرصة للتكاسل أمام الشاشة الصغيرة» قال روي وهو يسكب لها كأساً: «فأنت لا تتصورين عدد الاتصالات الهاتفية التي تتلقاها كل مساء أنا وأبي».

ثم صادف انهما ذكرا في حديثهما ستيفان كينوش، فقال روي وهو ينظر اليه يجلس في آخر الصالة: «انه شخص مميز ومع ذلك يحافظ على البساطة. كل الذين يعرفونه يقولون ذلك. لابد انك لاحظت ذلك بنفسك».

«اوه، بالتأكيد. لم أكن أعلم من هو إلا عندما رأيته. تصور ان والدته لم تخبرني من قبل أنه هو

ستيفان ابنها».

«لا تعتقدي انها ليست فخورة بنجاحه. لكنها لا تعترف انه ابنها أمام الغرباء».

«انها امرأة رائعة حقاً. تعاملني بلطف كبير منذ وصولي».

«لا أشك بذلك. فأنا أعرفها منذ طفولتي. أنا أصغر سناً من لوران، طبعاً، في صغري كنت أعتبره وأشقاءه أبطالاً بالنسبة لي».

خرجا من المطعم فنظر روي الى السماء.

«لا يزال الوقت باكراً، ما رأيك لو ذهبنا الى ترويك؟ هناك يقدمون مرطبات جيدة جداً».

«بكل سرور» قالت بينما روي يفتح باب السيارة: «سمعت عن تلك البحيرة. انها تستحق عناء الذهاب».

عندما وصلا، نزلا من السيارة يتأملان الأنوار المنعكسة على سطح البحيرة. فشعرت دافني بذراع روي يلف كتفيها. لم تعترض لأنه لم يتجاوز الحد.

وأخيراً عادا مع منتصف الليل. أوقف روي السيارة أمام المنزل وأطفأ المحرك ثم التفت ووضع ذراعه على المقعد فلامس رأسها.

«دافني» تمتم روي: «هذا لا يحصل معي دائماً، ولكني لست أدري ماذا أقول... لقد أمضيت سهرة رائعة، برفقتك».

انتفضت دافني وأبعدت رأسها.

«وأنا أيضاً، أسعدني التعرف عليك وسأذكر هذه السهرة طويلاً. أنت لا تتخيل سعادة المرأة بالخروج مع رجل لا يفكر فقط بالمغازلة».

تأملها روي للحظات بصمت ثم أخذ يضحك. لكن مرحه لم ينجح في اخفاء خيبته.

«لا شيء أكثر وضوحاً من هذا» قال متنهداً وهو يسحب ذراعه: «لن يكون لسهرتنا أي معنى رومنسي، أليس كذلك؟».

«أنا آسفة...»

«اوه، لا!» قال هازاً رأسه: «أنا من يجب عليه الاعتذار. ولكني أعترف: هذه أول مرة أعجز فيها عن تمالك نفسي».

شعرت دافني باندفاع فانحنت وطبعت قبلة خاطفة على خده.

«أنا حقاً آسفة روي. أعتقد انك تفهم، أليس كذلك؟».

«اوه، تماماً. أشكرك على صراحتك، هناك نساء يستغلين اغراءاتي دون أن يبالين. أقدر أخلاقك دافني. وكي أكون صريحاً بدوري، أحب أن ألحظ استجابة من المرأة عندما أضمها بين ذراعي».

«شكراً لك مرة ثانية روي على هذه السهرة وشكراً

على تفهمك».

نزلت من السيارة وقصدت غرفتها وهي تتمنى لو أن لوران هو الذي رافقها في هذه السهرة. لقد حاول التودد اليها في البداية، لكنها دفعته عنها اعتقاداً منها بأنه زوج فليسيتي وتلقى منها صفعة قوية جعلته لا يعيد الكرة مرة ثانية، خاصة وأنه يجهل انها تعتقده متزوجاً.

نهار السبت وجدت دافني نفسها وحيدة معه. كان أليك قد خرج مع عائلته بينما ذهبت السيدة كينوش لتناول الغداء مع صديقها القديم ويليام برن. أما لوران، فقد كان في لندن منذ الاربعاء الماضي ولم يكن من المقرر أن يعود قبل يوم الأحد. وكانت مديرة المنزل قد ذهبت لزيارة ابنتها، فقامت دافني بإعداد الغداء. بينما هي في ذلك الصدد سمعت صوتاً جعلها تتنفس، شحب لونها فالتفتت لترى لوران أمام الباب والابتسامة تعلو وجهه.

«لقد أخفتني» قالت متلعثمة: «كان يجب أن تعود غداً، لم أكن أتوقع مجيء أحد الآن».

دون أن يبعد نظره عنها، اقترب وجلس على كرسي حول الطاولة.

«عفواً ألف مرة لم أكن أعلم أن أعصابك رقيقة جداً. برأيي، يجب عليك أن تأخذي دواءً مقوياً. بإمكان روي ليجين أن يكتب لك وصفة... لكنني

أعتقد انها لن تكون وصفة كغيرها. أتخيلها بهذا المضمون: «زوج محب وثلاثة أولاد»».

رفضت أن تظهر له أن سخريته تجرحها، فضحكت وأخذت تقلب الخضار على النار.

«أليس هناك طبق لي؟ أنا لم أتناول شيئاً منذ الصباح».

«حسناً سأزيد من اللحم».

«حسناً، لا ضرورة للإنتقال الى غرفة الطعام طالما أن الآخرين ليسوا هنا، سنأكل نحن الاثنان هنا».

شرحت له دافني أين ذهب الآخرون. بعد دقائق كانا يجلسان حول المائدة وأمامهما الطعام الساخن.

كان لوران يأكل بسرعة، يبدو أن طعامها أعجبه. نظرت اليه وابتسمت. فجأة، رفع رأسه وتوقف عن الأكل ثم وضع ملعقته وأشرق وجهه.

«لدي شهية كبيرة، أليس كذلك؟ الطعام لذيذ جداً. أنا لا أحب تناول الطعام في الخارج. عندما أكون في لندن، أعد بنفسي طعاماً بسيطاً وأنتظر وصولي الى البيت لأتمتع بالوجبات الدسمة».

«هيا، ما كل هذه البساطة، كن جدياً».

«أنا هكذا حقاً، رجل خال من التصنع. ولكن يبدو انك تعتقدين العكس. أنت لا تأخذين الكلمات بمعانيها، بل تبحثين عن معان مختبئة، ويبدو انك

تعيرين الناس اهتماماً لا يستحقونه».

لاحظت دافني انها فقدت شهيتها. لكن لوران كي يلطف الجو أخذ يحدثها عن المؤتمر الطبي الذي حضره مؤخراً.

«استقبلت مريضاً، أثناء اقامتي هناك» تابع لوران: «ربما سأضطر للسفر الى أفريقيا بعد أسبوع أو أسبوعين لأجري عملية لأحدهم».

«ألا يمكن للمريض أن يأتي الى لندن؟» سألته بدهشة.

«لا يمكنني الكشف عن اسمه، ولكنه شخصية مهمة في الدولة هناك. ولا يرغب بإجراء العملية في لندن، فوافقت على أن أعالجه في بلده».

«لكنها ليست عملية الزائدة الدودية السهلة، هل أنت متأكد انك ستجد هناك كل ما يلزم من آلات وأشخاص لمساعدتك يكونون كفوأ؟».

«البلد الذي سأقصده متطور جداً. على كل حال سأصطحب معي د. نايلور ورئيسة الممرضات تحسباً للطوارىء. من المؤسف انك لست متخصصة في طب العيون وإلا لكنت مع الفريق».

فاجأها عرضهُ الغير متوقع، رفعت رأسها فالتقت بنظرة الجدية والمودة في عينيه.

«لا أحب العمل في غرفة العمليات» اعترفت وهي

تحاول اخفاء اضطرابها: «على كل حال لا أدري كم ستطول اقامتي هنا».

«نعم، هذا صحيح. أخشى انني أنظر الى الوضع من وجهة نظر شخصية محض».

خشيت دافني أن يصبح الحديث أكثر شخصية فنهضت ونظفت المائدة. لكنها أمام المجلى أخذت تتباطأ في غسل الصحون.

«هل تحسنت آن؟» سألها عندما انتهت.

«أفضل بكثير. لقد أوقفنا التمارين، لكن حالة ركبتها تحسنت. أخوك يتحدث عن استئجار فيللا على الساحل اللازوردي وينوي اصطحاب فليسيتي والفتاتين لقضاء بضعة أسابيع هناك».

«ربما سيطلب منك مرافقتهم».

«لا مجال لذلك حالياً، ليس لدي أي مشروع بعد رحيلي، لكن صديقة لي كتبت لي رسالة تقول فيها انها ذاهبة الى الهند مع شقيقها وخطيبها وتسألني اذا كنت أرغب بالانضمام اليهم».

«متى؟».

«لست أدري، لم يحددوا موعد السفر بعد. ربما في نهاية شهر آب. لكنهم قاموا بكل التحضيرات. يجب أن أقرر بدوري، من الافضل أن لا أنتظر حتى اللحظة الاخيرة، لا يريدون السفر ثلاثتهم فقط».

«أترغبين بهذه الرحلة؟» سألها بدهشة.

«لست أدري. لطالما حلمت بزيارة بلد كالهند. لكنني لست متأكدة من شيء الآن».

«الأمر يتطلب تفكيراً... الوقت لا يزال باكراً، وليس مناسباً للبقاء في المنزل، ما رأيك بنزهة قصيرة؟ أنصحك بارتداء جاكيت. الهواء بارد على التلال، إلا اذا كنت لا تفضلين نزهة على ضفة البحيرة؟».

«اوه، لا، ذهبت الى هناك عدة مرات مع آن».

عندما نزلت بعد قليل كان لوران بانتظارها، سارا جنباً الى جنب حتى وصلا الى التلة. توقفت دافني لتتنفس الهواء العليل بعد أن شعرت بالتعب بينما تابع لوران سيره وانتظرها أمام جدار صخري. عندما وصلت اليه ساعدها بتسلقه حملها بين ذراعيه ووضعها في الجهة الاخرى.

تبعته وهي تتساءل اذا ما كان يقصد عمداً عدم لمسها. تأملته وهو يقف ليشعل غليونه. نظر اليها مبتسماً وقال بشيء من السخرية:

«التسلق يناسبك. تبدين رائعة. سأكون الجراح الأسعد في العالم اذا كان كل مرضاي مثل هذه البشرية المليئة بالحيوية».

تمنت دافني لو يمكنها التحدث معه بحرية عن مجال طب العيون كما تفعل د. نايلور مثلاً! تخيلت قامتها

وشعرها الأشقر. اذاً اذا سافر الى افريقيا سيصحبها معه كطبيبة للبنج. أهي صديقة حميمة له؟ لكنها لم ترها يوماً تزوره في المنزل. كما وانه لو كان ينوي الارتباط بهذه المرأة لكان قدمها الى والدته والى العائلة كلها.

وصلا الى قمة التلة. وقفت دافني بجانب لوران تتأمل روعة المنظر وتتنفس الهواء النظيف بعمق. برفقة لوران المكان يبدو كالجنة. لماذا لا يمكنني أن أكتفي بعيش اللحظات الحاضرة؟ تساءلت بكآبة. ولكن أليست تتمتع حالياً بالسعادة كونها بجانبه؟ لماذا تفقدها بالاستسلام لليأس؟ أخذت تلوم نفسها بشدة لأنها أخطأت الحكم عندما اعتقدته متزوجاً يتحرش بها ليجرب حظه بمغامرة عابرة بدون غد.

انه هنا، بجانبها، قريب جداً، لا يقاوم. لكن عندما رفعت رأسها نحوه وجدته غارقاً في تأملاته ينظر نحو الافق. وكأنه أحسّ بنظراتها، فالتفت نحوها وأخذ يتأمل وجه دافني القلق.

«ادفع غالياً لأعلم بماذا تفكرين هذه اللحظة» قال هامساً: «تبدين مهمومة حائرة، ما الذي يقلقك، دافني؟ حولك كل شيء هادىء. انظري... هل هذه الرحلة الى الهند هي التي تقلقك الى هذا الحد؟ هل أنت عاجزة عن اتخاذ القرار؟».

«ليس تماماً، لكنني أعترف بأنني كنت أفضل لو لم

أسمع عن هذه الرحلة. قل انني كنت قد بدأت أرتاح في هذه المنطقة الخيالية».

«الخيالية؟» قال بخيبة: «أهكذا تسمين عالمنا الصغير؟».

«الكلمة ليست مناسبة، تماماً. أنا أعتذر» قالت وقد احمر وجهها: «أنت تعرف تماماً رأيي بإقامتي هنا. أجد في عائلتك واحة أمان وسكينة لم أجدها في أي مكان آخر. وأنا لا أستحق عشر ما أنا فيه».

«هيا، انسي كل هذا. وكفي عن ارهاق نفسك بسبب الرحلة الى الهند. لن يفنى الكون اذا سافرت صديقتك بدونك. بصراحة، دافني» أضاف بلهجة العتاب: «أنت تزعمين أن عالمنا هنا غير واقعي، رتيب قليلاً، بدون شك، ولكن أتعتقدين أن الرحلة الى الهند ستحل المشكلة؟ الهند بعيدة، انها المجهول! الآن، حان وقت العودة، لقد أوشك الظلام أن يهبط. اذا لم تجدك والدتي في المنزل ستقلق كثيراً عليك، أتأتين؟».

ثم ودون أن ينتظر جوابها، أدار ظهره وبدأ يبتعد.

«فقط لو تعلم!» فكرت دافني وهي تتبعه. «فقط لو تعلم بأن هذه الرحلة الى الهند لا تهمني أبداً. لكني لشدة غبائي وقعت في الحب. مع بيتر، كنت مخطئة في التقدير، وكنت سأضحي بنفسي، كما قلت أنت. ولكن لو تعلم كم هو مؤلم أن يحب المرء بصمت

ويشعر بالبعد!» تأملت كتفيه العريضين وهو يسير قبلها وشعرت بانقباض في قلبها. كم ستشعر بالسعادة لو تحيطها ذراعاه، هنا، على قمة التلة! لم يكن روي ليتردد بضمها لو شجعته، لكنها لا تحلم بعناقه، بل تحلم بعناق هذا الرجل الذي يرفض رفضاً تاماً التقرب منها وملامستها.

«انه يعتبرني كشقيقة له!» فكرت بألم ونظرت اليه وهو ينتظرها أمام الجدار الصخري. تجاهلت حركته عندما مد يده ليساعدها.

«لا سأتصرف وحدي!».

لكن قدمها انزلقت وكادت تقع لو لم يسرع لوران للإمساك بها. رمت نفسها على صدره فتراجع تحت الصدمة وتعثر ووقع بدوره وسحب دافني معه. للحظة طويلة، التقت أنظارهما بصمت الرأسان لا يبعدان سوى اصبعين عن بعضهما. بعد زوال أثر الصدمة، ضحك لوران لكنه لم يبتعد، بل ضمها جيداً بين ذراعيه.

«اذاً لم تكوني بحاجة للمساعدة؟ انظري الى أين وصلنا».

لم تستطع إلا الابتسام أمام هذا الموقف.

«ربما يستحق البطل الذي أنقذك مكافأة» تمتم لوران وهو ينظر اليها.

في البداية، تعلقت دافني بكتفيه واستجابت لعناقه

بدون سعداء ما عدا فليسيتي التي جلست بعيداً ويبدو عليها الملل الشديد. فجأة رن جرس الباب الرئيسي، وبما أن فارونيكا كانت في المطبخ، نهضت دافني لتفتح الباب. وكانت المفاجأة:

«دافني، يا عزيزتي» قالت والدة بيتر خطيبها السابق: «أنت لم تكوني تتوقعين هذه الزيارة، أليس كذلك؟ كان بإمكاننا الاتصال بك قبل مجيئنا، لكننا قررنا في اللحظة الاخيرة. أردنا أن نستغل فرصة مرورنا من هنا لنراك».

«لم أكن أعلم انكما ستقضيان الاجازة في المنطقة هذه، أمي لم تخبرني بذلك في رسائلها» قالت دافني وهي لا تزال تحت تأثير المفاجأة.

«كنا نجهل ذلك تماماً» تدخل السيد ماك نيل: «بالأمس فقط قررنا. زوجتي بحاجة لتغير الهواء».

«لكنت تدبرت الامر وتحررت لبعض الوقت لو كنت أعلم بقدومكما. ولكنكما هنا الآن، تفضلا بالدخول. سأقدمكما للسيدة كينوش. نحن نشرب الشاي».

«لا، لا، دافني» أعلن السيد ماك نيل: «لا نريد أن نتأخر».

لكن لوران كان قد خرج من الصالون وانضم اليهم فقدمتهما له وعلى الفور فهم لوران هوية الزائرين.

«ولكن أرجوكما» قال مرحباً: «تفضلا بالانضمام الينا، ستكون والدتي سعيدة بالتعرف عليكما» ثم التفت

نحو دافني: «دافني. احضري كوبي شاي للسيد والسيدة» وقادهما نحو الصالون.

عند عودتها من المطبخ، فهمت على الفور أن الجميع قد أصبحوا على علم بكل قصتها مع بيتر وعلاقتها بهما.

«سررنا كثيراً عندما وجدت دافني هذا العمل الذي سيشغلها، فموت بيتر كان قد هدنا كلنا» قالت السيدة ماك نيل وهي تمسح عينيها بتأثر. لاحظت دافني دهشة فليسيتي ونجحت باخفاء انفعالاتها بينما كانت السيدة ماك نيل قد أفهمت كل العائلة أنهم آووا فتاة كانت محطمة القلب. كانت هذه أطول ساعة قضتها في حياتها لدرجة أنها تنفست الصعداء وهي ترى سيارة آل ماك نيل تبتعد. عندما عادت الى الصالون وجدت فليسيتي تنتظرها.

«اذاً، بالنسبة لفتاة منهارة كنت تبدين بأحسن حال. يبدو انك وجدت المؤاساة بسهولة، أولاً مع ذلك المدعو ايفور وثانياً مع روي ليجين، وهناك آخرون أيضاً، يبدو انك لا تضيعين وقتك!».

«يجب أن تعتذري من دافني على الفور» تدخل أليك بهدوء: «كلماتك هذه ليست كلمات امرأة متزنة!».

ساد صمت ثقيل ولكن أمام نظرات أليك القاسية قالت فليسيتي رغماً عنها.

عشية سفره، وعلى عكس عادته جاء قبل الغروب.
كانت والدته تقرأ، فوضعت الكتاب من يدها وقالت بلهجة اللوم.

«أنا لست ضد زبائنك يا بني، ولكن عندما يجب عليك السفر الى آخر العالم لمعالجة أحدهم وعندما يضطرك ذلك للقيام بتحضيرات مرهقة بهذا الشكل، أبدأ بطرح الأسئلة وبالقلق».

رمى لوران نفسه على الكنبة ومد ساقيه الطويلتين.

«أعلم» قال متنهداً: «ولكن في مثل هذه المهمة، ليس لدينا الخيار. عندما عاينت هذا الرجل في لندن، أفهموني أن رغباته بمثابة أوامر... أنا متعب جداً وبحاجة لحمام دافىء. الى اللقاء» وصعد الى غرفته.

بعد ساعة، نزل وتناول فنجان قهوته ووقف أمام النافذة.

«انها أمسية رائعة، أرغب بنزهة الى البحيرة. لقد قضيت وقتاً طويلاً من نهاري في غرفة العمليات، مما أرهق أعصابي».

«ماذا لو نذهب الى بترمر؟» اقترحت آن: «هيا، خذنا بنزهة قصيرة، أرجوك».

«يجب أن تطلبي الاذن من والدك. ولا تنسي أن ركبتك لم تشف تماماً بعد».

«ولكننا سنذهب في السيارة» ألحت آن: «لن أمشي

طويلاً».

«حسناً، لكننا سنعود قبل هبوط الظلام».

تبعتهما دافني دون أن يدعوها أحد وجلست على المقعد الخلفي في سيارة لوران الذي سلك طريق جبل هونيستر ثم انعطف في طريق فرعي وتوقف هناك.

«هيا، لينزل الجميع» قال لوران: «أيتها الفتاتان، لا تبتعدا، وكونا حذرتين».

انطلق الجميع سيراً نحو التلال والفتاتان تثرثران بحماس. فجأة أسرعت كلير متجاهلة تحذيرات عمها.

«كلير...» وقبل أن ينهي جملته كانت الصغيرة تنزلق رافعة يديها نحو المنحدر الصخري.

بنفس الوقت ركض لوران ودافني وانحنيا على بطنيهما لالتقاط الفتاة.

«لقد فقدت جهاز السمع» صرخت كلير: «ساعداني، أرجوكما».

«أنت ثقيلة جداً» قالت دافني وهي ترى لوران يخلع جاكيته استعداداً للنزول: «لن تنجح، بل ستدفعها للنزول أكثر» قالت للوران: «من الافضل أن أنزل أنا، انه الحل الوحيد».

«ولكن كيف؟» اعترض بقلق: «يفصلك ثلاثة أمتار عن كلير».

«الأحزمة!» قالت بدون تردد: «حزامك وحزام آن.

بسرعة، اربطهما، سأمسك بطرفهما وأنت ستتركني أنزلق حتى كلير. آن ستبقى هنا بينما تعود أنت الى السيارة طلباً للمساعدة. هيا، لا تناقش، لا ضرورة لذلك».

بسرعة نزعت آن حزامها فربطه عمها بحزامه ثم لف طرفه حول يده وجلس على ركبتيه بجانب دافني.

«حظاً موفقاً، دافني» تمتم وهو يمسك وجهها بين يديه. وبكل حنان طبع قبلة على جبينها ثم تمدد عند الحافة ينظر اليها وهي تختفي تدريجياً في الفراغ.

شعرت دافني بقدميها تطآن الأرض المائلة، فتمتمت شفتاها بالصلاة ونزلت على مهل تاركة طرف الحبل لتمسك كلير بين ذراعيها.

«لا تقلق» صرخت للوران، اذهب لطلب المساعدة.

أثناء سقوطها لم تصب الصغيرة إلا ببضعة خدوش بدون أية خطورة، عندما رأت دافني تضمها بحنان هدأت وتوقفت عن البكاء.

«لقد ذهب لوران ليحضر المساعدة. سيعود بعد قليل، لا تقلقي أبداً».

«دافني» صرخت آن: «هل كلير بخير؟».

«نعم، نعم، لا تقلقي».

كانت دافني تحاول السيطرة على الموقف، لكنها كانت خائفة جداً. فالمساحة التي تقف عليها ضيقة جداً

وأقل حركة تدفعهما معاً نحو الأسفل العميق.

شعرت براحة كبيرة عندما سمعت صوت لوران يتكلم مع آن ثم ينحني نحو المنحدر الصخري بكل هدوء وثقة.

«سأرمي لك الحبل» قال لوران: «اربطيه وأفهمي كلير كي لا ترفع يديها عن العقدة».

بعد لحظات كانت كلير ترتفع لتختفي بعد لحظات في الأعلى.

«الآن، دورك» قال لوران: «كلير بخير، لقد ذهبت الى السيارة مع شقيقتها».

تسلقت دافني بدورها وبعد لحظات وجدت نفسها أمام لوران وشابين من متسلقي الجبال الذين ذهبا على الفور بعد أن استعادا حبلهما.

«لحسن الحظ التقيت بهذين الشابين، لولاهما، لكنتِ بقيت هناك مدة أطول مع الصغيرة، والله وحده يعلم اذا كان بإمكانك الصمود طويلاً، تعالي» قال وهو يحيط كتفيها بذراعه ثم اتجها نحو السيارة.

تمت عودتهم نحو المنزل بصمت تام وكلير تجلس في حضن دافني وهي لا تزال ترتعش. كانت آلة السمع لا تزال في ذلك المنحدر لكن لحسن الحظ كان لديها آلة أخرى في المنزل.

«أنا المسؤول» قال لوران وهو ينظر الى الفتاتين

تدخلان الى الصالون: «كان يجب أن أتأكد من أنهما تتعلان الاسبيرين».

«أنا المذنبة أيضاً» قالت دافني: «أليك وفليسيتي لن يغفرا لي أبداً».

«لم تفعلي ما يتطلب الغفران، دافني» قال وقد توقف ليضع يديه على كتفيها: «كلير لم تنتبه أين تضع قدمها، على كل حال، هذا بمثابة درس لها. أنت لست مذنبة، وأنا سأشرح لهما ما حصل».

كان أليك متفهماً جداً، لكن هذا الحادث كان فرصة لفليسيتي التي ألقت كل المسؤولية على دافني ووجهت لها كلمات قاسية لدرجة أن السيدة كينوش الكبيرة طلبت من دافني الصعود مع الفتاتين تجنباً للمزيد... بعد أن نامت الفتاتان وبينما كانت دافني متجهة الى غرفتها التقت بلوران في الممر.

«كل شيء على ما يرام؟» همس: «لا، اسمعيني! الآن ليس لدينا الوقت، ولكن عندما سأعود، يجب أن نتحدث طويلاً، أنت وأنا. لا تنسي» قال وهو يقبلها بحرارة على جبينها: «فور عودتي» ثم اختفى في الممر.

بعد رحيل لوران، علمت دافني انها لن ترافق الفتاتين الى فرنسا. كما وطلبت منها السيدة كينوش الكبيرة ان تؤجل عودتها الى كمبريدج بانتظار أن يستعيد

المنزل حالته الطبيعية. هل هذا تلميح الى عودة لوران؟ ربما كانت السيدة الكبيرة على علم بالوضع لكنها لا تظهر ذلك...

كان لوران قد أكد أن غيابه سيستمر لأسبوعين على الأكثر. تلك القبلة عند حافة المنحدر، في البرد والهواء، لم تكن قبلة خاطفة، ربما كانت تبعث على احياء الأمل الذي كان يراود أحلام دافني طويلاً... قبل سفر أليك وعائلته بيوم واحد، جاء أليك الى المطبخ ينادي دافني.

«دافني، هناك اتصال لك من كمبريدج. أعتقد أنه والدك».

«آلو!».

«دافني. كنت متأكداً انني سأجدك في مثل هذه الساعة» قال السيد كارول: «اسمعي، يا ابنتي، أيمكنك العودة الى المنزل؟... نعم، على الفور... حصل أمر يستدعي حضورك...».

«انه... أمي...؟».

«لا، لا، والدتك بخير وشقيقك روبن أيضاً. حسناً، من الافضل أن تكوني على علم. للحقيقة، جاءت امرأة شابة أميركية، وادعت انها كانت خطيبة بيتر. والأكثر من ذلك انها حامل منذ ستة أشهر. أنت بالتأكيد تتوقعين كيف كانت ردة فعل السيدة ماك نيل، اضطررنا

لنقلها الى المستشفى واضطرت والدتك لاستقبال هذه الاميركية لأنه لا يمكننا تركها وحدها مع السيد ماك نيل العجوز. الآن، أصبحت على علم بالأمر، هل يمكنك المجيء بسرعة؟».

«بالتأكيد» أجابته دافني بعد أن استعادت قدرتها على الكلام: «سأستقل أول قطار، آل كينوش سيفهمون».

لدقائق، ظلت نظرات دافني مثبتة على الهاتف. بعد تأثير الصدمة الاولى، لاحظت انها لم تكن أبداً متفاجئة. فكثير من التفاصيل التي كانت غامضة، بدأت تتضح الآن: رسائل بيتر التي كانت قد قلت، تصرفه الغريب عندما استقبلته في المطار ورفضه أن يكرس لها بضع ساعات بعد ذلك الغياب الطويل. . . وعند عودته الى أهله، كان قد وقع من جديد تحت تأثيرهم ومن هنا جاء قراره المفاجيء بالزواج منها بأسرع وقت ممكن.

أعلنت دافني لآل كينوش انها مضطرة للرحيل بسبب مرض السيدة كينوش، فلم تجد أية معارضة.

جمعت حقائبها وجلست تكتب رسالة للوران.

«لا أشك بأنك ستسأل عني عند عودتك» كتبت بعد أن شرحت له الموقف: «أنا متأكدة من ذلك وأتمنى ذلك من كل قلبي».

تذكرت دافني مجموعة البريد التي كانت تنتظر لوران على الطاولة في المدخل فنزلت ودست رسالتها بين

تلك الرسائل، في هذه الاثناء، سمعت ضجة في الممر جعلتها ترفع عينيها لترى فليسيتي تخرج من المطبخ تحمل بيدها شراباً ساخناً.

«ماذا تفعلين هنا؟» سألتها وهي تنظر الى يدها: «آه، فهمت، لست قادرة على الرحيل دون أن تتركي له لمسة أخيرة».

«أنت تعلمين» قالت دافني بحدة: «أنا أحترم آل كينوش ويدهشني قدرتهم على تحمل امرأة مثلك» ثم هزت رأسها وصعدت الى غرفتها تاركة فليسيتي التي جمدها الغضب.

تلك الفتاة الاميركية كانت تدعى جو - آن، ما ان رأتها دافني حتى استلطفتها. انه جميلة حتماً وأنيقة لكن اليأس ساد على وجهها. تذكرت دافني على الفور صدمتها عند موت بيتر وتخيلت ما يمكن أن تكون عليه مشاعر الاميركية.

ان هذا البريق الحزين في عينيها يدل على مدى حبها له. إلا انها عندما لم تسمع منه أية أخبار، قطعت المحيط وجاءت لتسأل عنه فعلمت أن والد جنينها مات قبل وقت قصير من زواجه من امرأة أخرى.

كذلك كانت صدمة السيدة ماك نيل كبيرة عندما علمت بوجود هذه الاميركية التي تحمل في أحشائها حفيدها.

عائلة دافني تحملت مسؤولية آل ماك نيل واضطرت دافني ووالدتها للتفكير بولادة هذه الاميركية الضعيفة، خاصة انه لا يمكنها حالياً العودة الى أميركا لأن والديها قررا نسيان حتى وجودها.

«لا أفهم كيف يمكن لبعض الناس أن يكونوا ضيقي التفكير الى هذا الحد» قالت السيدة كارول لابنتها ذات مساء: «كيف يمكن للأهل أن يرفضوا مد يد المساعدة لابنتهم في ظروفها الصعبة؟ الآن سيتحمل السيد ماك نيل كل المسؤوليات وأعتقد أن لا شيء سيسعده أكثر من رؤية جو ـ آن تقيم معه في المنزل مع ابنها. ولكن هل ستوافق زوجته؟».

«ربما تأتي المعجزة من الطفل! متى يحين موعد الوضع؟».

«بعد سبعة أسابيع» قالت وهي تضحك بمرارة: «من كان يتصور أن بيتر كان سيتصرف على هذا النحو».

«تصوري لو أن جو ـ آن وصلت بعد زواجنا! ماذا كنا سنفعل؟».

«لا أجرؤ حتى على التفكير بذلك. لكن المهم انك نجوت من هذه التجربة ومن هذا الموقف».

«لو تعلمين أمي، قبل عودة بيتر، كنت قد لاحظت انني لا أحبه، وانه مجرد صديق منذ الطفولة».

«ومع ذلك كنت ستتزوجين منه؟» سألتها والدتها

بدهشة.

«ماذا كان بإمكاني أن أفعل؟ الجميع كانوا ينتظرون زواجنا. لم أجرؤ على فسخ خطوبتنا كي لا تصابوا جميعاً بالخيبة».

«يا ابنتي» وضمتها الى صدرها بحنان: «وأنا التي كنت أعتقد أن موت بيتر كان مأساة بالنسبة لك! لو لم يمت بيتر، لما كنت سأسامحه على الزواج منك دون أن يحدثك عن هذه الفتاة المسكينة وعن تلك الظروف التي تركها فيها».

«ربما كان يجهل حملها».

«لكنهما كانا يعيشان معاً. أليس هذا كافياً؟».

مرت الأيام دون أن تحمل لها الاخبار التي تأملها. وصلتها فقط رسالة من السيدة كينوش. تساءلت الفتاة بحزن عن سبب صمت لوران مع انه بالتأكيد قرأ رسالتها منذ مدة. لكنه لم يكتب ولم يتصل. لماذا؟.

مع مرور الأيام تبدد حلمها الجميل. ربما أثناء سفره الى أفريقيا فكر طويلاً وغير رأيه بعد أن ساعدته طبيبة البنج على النسيان. أو أن دافني لم تفهم كلامه في الممر كما كان يقصده وغذت أحلامها الخيالية. لكنه أعلن لها أنه سيكون لهما حديث طويل بعد عودته على الفور.

لشدة حبها له اعتقدت انه أيضاً يحبها بنفس الجنون.

ربما كان يريد أن يحدثها عن عمل فقط! وعندما علم بعودتها الى كمبريدج تخلى عن فكرة عرض عمل جديد عليها.

ظلت دافني فريسة لهذه التساؤلات مع انها تحاول جهدها التخفيف عن جو - آن ومواساتها. إلا أن الاميركية لم تكن تبذل أي جهد للتأقلم مع الوضع الجديد. أما بالنسبة لدافني، فإن وجود الاميركية كان تذكيراً مؤلماً بكل ما عانته هي نفسها.

بينما كانت تعمل على تنظيف الموكيت بالمكنسة الكهربائية، أخذت تفكر بالصدف التي تدبر أموراً غريبة. فلو لم يمت بيتر، لما كانت السيدة فيلوز اتصلت بها للاهتمام بآن ولما كانت التقت بلوران، ولما كانت تعاني ما تعانيه الآن من الآم تعصر قلبها! لكنها رغم آلامها لم تكن نادمة على شيء! فبعد هذه السنوات الرتيبة مع بيتر، تعرفت أخيراً على الحب وشعرت بنيرانه. لقد ضمها لوران اليه ثلاث مرات فقط، لكنها كانت كافية لنقلها الى عالم لم تكن تشك بوجوده من قبل. كم تشتاق اليه وكم تحتاج لعناقه!.

لم تكن دافني مخطئة حول تفكيرها بتأثير الطفل على موقف السيدة ماك نيل. فعند عودة هذه الاخيرة الى المنزل، كانت ترفض أن يأتي أحد على ذكر جو - آن هذه. الا انها ذات يوم وبعد اصرار من دافني وافقت

على مجيء جو - آن لزيارتها.

ترددت الاميركية كثيراً لأن لقاءها الاول مع السيدة ماك نيل كان قد أدى بالعجوز الى المستشفى. رافقتها دافني الى منزل أهل بيتر ثم تركتهما وحدهما وعادت على أمل أن يسود التفاهم بين المرأتين التي أحبتا بيتر أكثر من غيرهما.

في اليوم التالي، علمت دافني انهما متفقتان وان العجوز بدأت تحب الاميركية وترتاح لوجودها.

ولكن اذا كان مستقبل جو - آن يبدو بمنظار جيد، إلا أن لا شيء يبدو قادراً على تهدئة قلق دافني. لقد مضى على وصول لوران من أفريقيا ثلاثة أسابيع ولم يتصل. لقد بذلت دافني جهداً كبيراً لتقاوم رغبتها في الاتصال بالمنزل علها تسمع صوته، كما وانها في رسالتها الى السيدة كينوش تحاشت ذكر اسمه والتلميح اليه.

ذات يوم، وبينما كانت عائدة من المستشفى التي كانت تعمل فيها في السابق، أصيبت بذهول تام وهي ترى أمامها لوران على بعد أمتار قليلة منها فقط، اقتربا من بعضهما والعينان في العينين وظلا صامتين للحظات طويلة.

«ولكن ماذا تفعل هنا في كمبريدج؟».

«جئت في الطائرة هذا الصباح مع د. جاك ويتربي،

ولكن بما انه كان لدي متسع من الوقت مررت لزيارتك وعلمت انك هنا. هذا أقل ما يمكنني فعله».

اذاً لم يأت فقط لرؤيتها! جاء للعمل وأراد أن يمر عليها مرور الضيف الزائر.

«كنت أعتقد انك ستتصل بي» قالت أخيراً: «هل قرأت رسالتي؟».

«اوه، بالتأكيد!» قال بلهجة ساخرة: «أتعتقدين انني قرأتها مرة فقط؟ لقد قرأتها مئة مرة ولا تزال معي» قال وهو يسحب الرسالة من جيبه ويناولها لها: «وتزعمين حقاً انك كنت تأملين أن أتصل بك؟ بعد ما كتبته؟ أية لعبة تلعبين معي، دافني؟».

ثم أضاف أمام دهشتها.

«ألا تذكرين ما كتبتيه؟ حسناً، اقرأيها اذاً».

«عزيزي لوران

لابد ان والدتك شرحت لك أسباب رحيلي لقد فكرت جيداً أثناء غيابك وأدركت انه يصعب علي نسيان بيتر. سأكون ممتنة لك اذا لم تحاول البحث عني، هذا لن يزيد الأمر إلا احراجاً.

الوداع. دافني»

«ولكن هذه ليست الرسالة التي كتبتها أنا لك» اعترضت الفتاة: «حتى أن هذا ليس خطي».

«الست أنت من كتبها؟ اذاً أين رسالتك؟» سألها

بدهشة: «اذاً من كتب هذه؟».

«أتساءل مَن...» وتذكرت فليسيتي ونظرة الغضب في عينيها ذلك المساء.

«من؟» سألها لوران بإلحاح.

«لقد رآتني فليسيتي وأنا أضع الرسالة في بريدك الخاص».

«آه... بالتأكيد. لا ضرورة لقول المزيد... ولكن عليك الآن أن تقولي لي شفهياً مضمون رسالتك الحقيقية التي اختفت ولم أقرأها».

شرحت له دافني ظروف عودتها الى كمبريدج والتعقيدات التي رافقت وصول جو ـ آن.

«أترغبين بأن نتناول العشاء معاً ونتحدث بكل هذا؟ الآن يجب أن أذهب، انهم بانتظاري في غرفة العمليات».

هذا المساء، عندما نزلت ترتدي ثوب السهرة، فهمت على الفور أن والدها أصبح على علم بموعدها مع لوران، فاقترح عليها أن تأخذ سيارته.

كان لوران بانتظارها أمام باب الفندق الذي ينزل فيه. أسرع لملاقاتها وأمسك يدها وقادها نحو الصالون.

«للحقيقة» قال وهو يساعدها على الجلوس: «فقط عندما رأيتك أمام مدخل الفندق، أدركت انني لم أكن أحلم».

هذا تماماً ما كانت تشعر به هي أيضاً. كانت تخشى أن تكون قد تخيلت لقاءهما في النهار.

«وأنتِ؟» سألها وهو يمسك يدها: «هل أنت متأكدة الآن؟ ألا تشعرين بأنهم يدفعونك دفعاً كما كان الوضع مع بيتر؟».

«لا، أبداً، ولكن ماذا عنك أنت؟ هل نجحت أخيراً بنسيان ماري؟ اعتقدت لفترة انك وجدت العزاء مع الطبيبة نايلور».

«أية فكرة! أنا لم ألمح الى ماري إلا لأنك لم تكوني تهتمين بي...».

«لم أكن أهتم بك وأشجعك لأنني... لأنني كنت أعتقد في البداية انك زوج فليسيتي».

«اوه لا! لا تبدأي من جديد! اسمعي، فليسيتي زوجة أخي ولن أقول أكثر. ولكن يدهشني انك تخيلتِ...».

«لم يشرح لي أحد وجه القرابة، ولم يكن بإمكاني أن أعرف...».

«لكن الفتاتين كانتا تناديانني لوران».

«وكذلك كانتا تناديان والدتهما باسمها».

«اذاً هذا سبب ردة فعلك أمامي عندما عانقتك».

«أنا آسفة على تلك الصفعة. لقد فهمت بوقت متأخر انك لم تكن زوج فليسيتي. ومع ذلك لم تحاول أنت

من جديد أن تتحرش بي ففقدت الأمل الى ذلك اليوم الذي وقعت فيه كلير».

«لم أكن أجرؤ على لمسك... المهم الآن أن تفهمي انه لا يمكنني تأخير زواجنا أكثر. ما رأيك لو نحتفل بزواجنا في كنيسة هيبتور؟».

«لا شيء يهمني غير العيش بجانبك. لكن بصراحة، لا يمكنني العيش مع فليسيتي تحت سقف واحد. أنا آسفة، لا أريد أن أفصلك عن عائلتك، ولكن بعدما حصل، لا يمكنني تحمل فليسيتي أبداً».

«اوه، لا تقلقي، أليك سيعود الى أميركا وسيصطحب فليسيتي معه. لكن الفتاتين ستبقيان هنا في المدرسة وستقضيان الاجازات فقط في المنزل. ستعيش معنا والدتي. أنا متأكدة انك ستتفقين معها، فهي تحبك كثيراً. أعدك دافني أن حياتنا ستكون سعيدة وانه لن يكون فيها أي ملل ورتابة. ولكن... هل أنت قادرة على التأقلم مع حياة طبيب جراح؟».

«ليس أسهل من ذلك. خاصة وانني عشت في وسط طبي. على كل حال، سيكون لدي ما يشغلني، فأنا لا أريد أن أخيب أمل والدتك...».

فهم لوران قصدها فابتسم بحنان.

«علينا أولاً أن نحتفل بزفافنا وسيكون لدينا متسع من الوقت للتفكير بأولادنا».